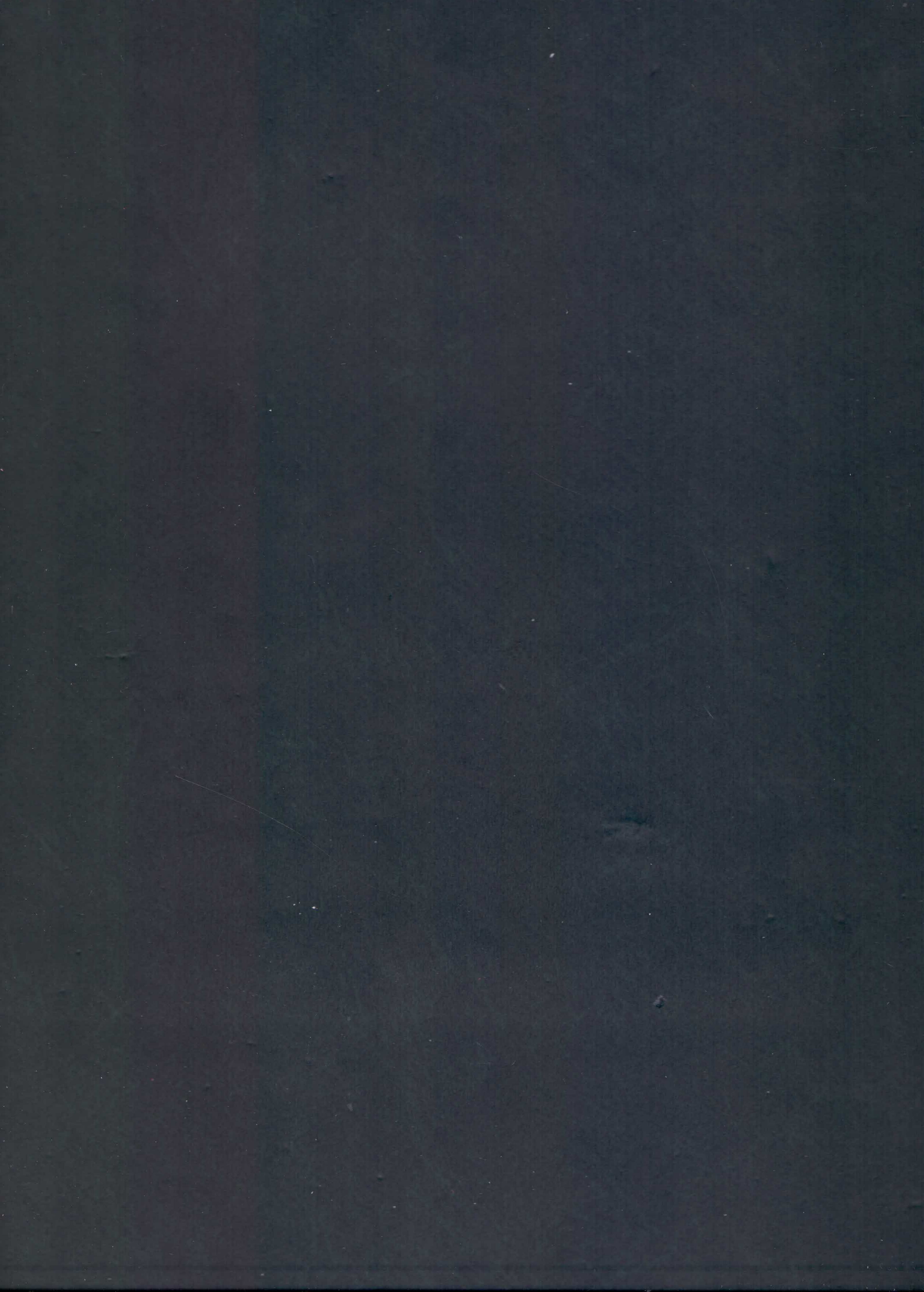

دار الكتب والوثائق القومية


جامع السلطان حسن


مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة





جامع السلطان حسن لمصر

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. محمد صابر عرب

هرتس، مكس.

جامع السلطان حسن بمصر/ تأليف مكس هرتس؛

عربه عن اللغة الفرنساوية على بهجت. ـ القاهرة : دار الكتب والوثائق القومية، 2009-

70 ص ؛ 34 سم.

تدمك x - 0867 - 18 - 977

١ - المساجد ـ مصر ٢ - المساجد ـ عمارة

٣ - مسجد السلطان حسن.

أ - بهجت، على (مترجم) ب - العنوان.

٢١٥,٩٦٢

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٩/١٧٩٧٧

I.S.B.N. 977 - 18 - 0867 - x



الحكومة المصرية

لجنة حفظ الآثار العربية

جامع السلطان حسن

بمصر

★

تاليف جناب

مكس هرتس بك

باشمهندس اللجنة واحد أعضائها

عربه عن اللغة الفرنساوية

على بهجت

احد الاعضاء

نشر هذا السفر على نفقة لجنة حفظ الآثار العربية

طبع بالمطبعة الكبرى الاهلية بمصر سنة ١٣١٩ هجرية موافقة سنة ١٩٠٢ ميلادية

على سبيل التقديم

على الرغم من كثرة مساجد القاهرة الإسلامية، لكن يبقى مسجد السلطان حسن من أعظم ما شيده البناؤن المصريون، فهو في مقدمة المساجد الجامعة التي جمعت بين روعة العمارة وشموخ المآذن لدرجة أنه يعد فريدًا في مفرداته المعمارية كمسجد ومدرسة وخدمات عامة، ليس في مصر فقط؛ وإنما في كل العالم الإسلامي.

لقد خلّد هذا السلطان المملوكي (حسن بن محمد بن قلاوون ٧٣٥ هـ - ١٣٣٤م / ٧٦٢ هـ - ١٣٦١م) اسمه من خلال هذا العمل الكبير؛ الذي لا نظير له في كل العالم الإسلامي. واللافت للنظر أن هذا السلطان المملوكي لم يكن من بين السلاطين الكبار الذين أشاعوا العدل، وما كتب عنه في المصادر التاريخية لا يجعله في صفوف الحكام العظام، لدرجة أنه حينما عزله شقيقه الملك الصالح ولم يكن قد تجاوز عمره سبعة وعشرين عامًا، انتهى به الأمر لدرجة أنه لم يُعرف مكان وفاته أو قتله، ولم يُعرف له قبر، لكن بقي مسجده ومدرسته علامة بارزة في تاريخ العمارة الإسلامية، مما خلد اسمه، فقد ترك لنا أثرًا عظيمًا يعد مفخرة للعمارة المصرية الإسلامية.

لعل هذا المسجد قد تفرد من بين مساجد القاهرة بقوة البناء وعظمة وجمال الزخرفة ورقتها وتناغم عناصرها الجمالية، لدرجة أننا نستطيع أن نلخص هذا العمل العظيم بأنه قد جمع كل عناصر الفخامة والروعة والجمال تجسيدًا لعصر من القوة والمهارة والشموخ.

وإذا كانت دار الكتب والوثائق القومية تعيد نشر هذا العمل الجليل، فإننا نود أن نذكر القارئ بأننا قادرون على أن ننجز كل الأشياء العظيمة، لكن وفق شروط ومقومات عظيمة أيضًا.

د. محمد صابر عرب

مقدمة

تشكلت لجنة حفظ الآثار العربية بموجب دكريتو خديوى تاريخه ١٨ دسمبر سنة ١٨٨١ وبذلك يكون قد مضى على وجودها ١٨ سنة وتقرر لمصروفاتها مال أخذ من ميزانية ادارة عموم الاوقاف ومنحتها الحكومة المصرية زيادة على ذلك فى سنة ١٨٩٧ من مال الاحتياطى بصندوق الدين مبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه مصرى لتصرفه فيما تجريه من الاعمال

هذا ولم يسبق للجنة أن نشرت شيأ من أعمالها غير محاضر الجلسات وتقارير القسم الهندسى وضمنتها لزيادة الفائدة بعض نبذ ومناظر فتوغرافية ورسومات يجد فيها من كان له مأرب فى الفن العربى معلومات لم يسبق نشرها ولكن اللجنة لاشتغالها أولا بحفظ آثار كثيرة معتبرة عند أهل الفن والمؤرخين ووقايتها من أن تبطش بها يد الدروس لم تر الى الآن لزوم الالتفات للتوسع فى النشر وصرف شئ من ايراداتها أو عمل عمالها فى هذا السبيل واذن يكون كتاب جامع السلطان حسن هو أول مانشر فى بابه من آثار اللجنة وللجناب هرتس بك باشمهندسها شكر طائفة العلماء على البراعة والهمة اللتين أبداهما فى القيام بهذا العمل وفى الابحاث التى أجراها بغية مضاعفة نفع هذا المؤلف

على أننا لا يسعنا الا أن نأسف على وجود مسجد السلطان حسن الذى هو أول آثار العصر العربى فى مصر من حيث الضخامة والعظم فى حال من الاختلال كبير مفتقرا الى تقويات وتعميرات كبيرة واللجنة لكثرة ماهو موكول لرعايتها من الآثار ولقلة ايراداتها لاقبل لها بهذه الاعمال حيث لم تتوفر لديها الوسائل

ولذلك نرجو أن يكون هذا الكتاب المؤدى الى اظهار مكنون أهمية هذا المسجد سببا فى تعجيل نفاذ الخطة المرسومة لتعميره وهى تستلزم انفاق نحو من ٤٠٠٠٠ جنيه مصرى

القاهرة فى سنة ١٨٩٨ اللجنة

مقدمة المؤلف

لاريب أن جوامع القاهرة ومساجدها أغرب ماجادت به قريحة بنى العالم الاسلامى من الابنية وأكثرها فى أنحاء الشرق عموما كما أنه لامشاحة فى أن مدينة القاهرة هى أم الجوامع فان الانسان يكاد لايخطو خطوة دون أن يرى جامعا أو مسجدا لو جمعت كلها لكفت لتكوين مدينة قائمة بذاتها

وأعظم مساجد القاهرة فى الدلالة على العظم وحرمة الشعائر الدينية جامع السلطان حسن اذ لا يتأمله المتأمل ولو عن بعد الا وترتسم فى نظره تلك الاضلاع المستقيمة الراسخة والمآذن الشامخة والابعاد المتناسبة كأنه كتلة عظيمة من الحجر فى شكل المعابد القديمة والحمامات العتيقة وبعبارة أدق هو من جنس ماشيد فى عصره من كنائس القرون الوسطى حيث كان الناس متمسكين بالدين

ولقد ابتكر المصور الشرقى فى هذا الشكل الكبير زخارف دقيقة من كتابات ودلايات ونقوش وفسيفساء وقطع مطعمة ومكفتة ومموهة مما جعله آية فى الحسن والبهاء الحقيقى وجمع فيه كل مايمكن أن يأتى به هذا الفن الخاص الذى يقال له الفن العربى تخصيصا له بالعرب فى النسبة ولو أنه لعموم جماعة المسلمين

قلنا ان مدينة القاهرة كثيرة الآثار اذ لايوجد بغيرها من مدن الشرق مايوجد فيها ونقول عدا ذلك ان أبنيتها تفضل أبنية غيرها عمرا وجمالا وما من عصر الا وله فيها آثار متعاقبة بحسب تعاقب الدول ففيها يتوفر السند القوى للباحث فى الآثار وبها يعثر المصور الطالب للنفائس كل يوم على كنز جديد

من بين هذه الآثار الفنية الوفيرة يقوم جامع السلطان حسن مختالا باشرافه وفضله على الكل يستوقف النظر بشامخ بنيانه ثم يستوجب التأمل لدقائقه لان جميع ماانطوت عليه فنون التصوير الشرقية قد جمعت فيه

وقد بدا لنا أن مثل هذا الجامع جدير بالبحث والنظر وأولى بأن يعرف قدره وأن التأليف فى موضوعه يكون أمرا لايستغنى عنه ان جاء مستوفيا موافقا للاصول الهندسية ولو خلا عن دواعى الجاذبية لذلك شرعنا فى تأليف كتابنا هذا وقسمناه الى ستة أبواب

الباب الاول — بينا فيه موقع الجامع ووضعه وأبعاده

الباب الثانى — تكلمنا فيه على تاريخ بنائه معتمدين فى تحقيق ذلك على الكتابات المنقوشة فى جدرانه وفى بعض الادوات والاوانى التى كانت به وحفظت اليوم فى دار الآثار العربية وعلى المؤلفات التاريخية والجغرافية العربية وكتب السياح وأرباب الفن

الباب الثالث — أوردنا فيه مبحثا عن كيفية بناء الجامع من الوجهتين الانتقادية والهندسية

الباب الرابع — ذكرنا فيه كل ماعملته حتى اليوم لجنة حفظ الآثار العربية بشأن الجامع ثم وصفنا الحالة التى آل اليها بناؤه من التداعى

أما البابان الخامس والسادس فقد رسمنا فيهما الخطة التى تتبع فى عمليتى الترميم والتقوية المقتضى اجراؤهما فيه وذيلناهما بمقايسة عما تستدعيه هاتان العمليتان من النفقات ،

هرتس

جامع السلطان حسن

بمصر

الباب الأول

فى الكلام على الجامع من حيث موقعه ووضعه وأبعاده

١ — موقع الجامع

هـذا الجامع واقع فى الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة القاهرة غربى قلعة الجبل ووجهته الاصلية مطلة على شارع محمد على وله وجهة أخرى مشرفة على ميـدان الرميلة وهى الوجهة الجنوبية الشرقية أما الوجهة الشمالية الغربيـة فمجاورة لرحبة فيها بناء ساقية جسيمة والمطلع على خريطة القاهرة يرى أن فى وضعه بعض الازورار بل يصعب عليه تحديد شكله وغاية ماينتهى اليـه الوصف أنه شكل كثير الاضلاع ممتدّ من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى . أقول يصعب تحديد شكله لان أضلاع خطوط النصف الجنوبى الشرقى منه تتقاطع فى زوايا قائمة تكاد تكون متماثلة بخلاف النصف الآخر فليس به أجزاء متعامدة على أن هذا الازورار الذى يلتمس له العذر بسبب حالة الارض التى أقيم عليها الجامع لا يزرى بشئ من جماله الرائع

٢ — وضع الجامع

اتجاه جوانبه — لما كان الجامع موضوعا على سمت القبلة كانت كل جوانبه منحرفة عن الاربع النقط الاصلية(١) فمن ذلك أن الوجهة الاصلية وبوابتها الكبيرة متجهة الى الشمال الشرقى ومحدثة مع وجهة القبلة الواقعة بين الجنوب والشرق زاوية منفرجة انفراجا خفيفا أما وجهة القبلة فتتركب من خمس وجهات صغيرة لان فى وسطها بروز مربع الشكل معقودة عليه قبة وهو عبارة عن التربة وهذه الوجهة مزخرف ظاهرها بزخرفة كثيرة أبدع المهندس فى توزيعها وفوق جانبى هذا الجزء البارز منارتان أقدمهما وهى القبلية أعلاهما اذ يبلغ علوّها عن صحن الجامع ٨١ مترا و ٦٠ سنتيا وهذه الوجهة ليس فيها من التماثل مايخيل للرائى عند أول نظرة وكما أن المنارتين تختلفان فى العلو كذلك الحائطان القامان على جانبى التربة ليست مقاساتهما واحدة فان جسم الحائط القبلى أكبر وجسم المأذنة المتصق به أعرض ومن هنا يعلم أن المأذنة البحرية كانت فى الاصل أصغر من القبلية(٢) وهو أمر غريب خصوصا لو راعينا مايدل عليه وضع الوجهة من توخى المهندس وجود التماثل(٣) ولكن ياترى ما هى البواعث التى ألجأته الى هذا الشذوذ هل المبانى الموجودة وقتئذ . لا أدرى وغاية ماأقول ان البواعث التى أشرنا اليها هى لامحالة اضطرارية اذ لو أنه زاد فى عرض الحائط الذى يصل التربة بالمأذنة البحرية لقل الانحراف الذى ظهر لنا فى الوجهة الاصلية ولكان فى ذلك من تحسين الوجهة وتجميل الاثر مالايخفى(٤)

---

(١) انه وان لم تكن جوانب الجامع موضوعة على اتجاه النقط الاربع الاصليـة الا أننا قد عبرنا عن الايوانات بالبحرى والقبلى والشرقى والغربى مجاراة لاهل مصر فى اصطلاحهم الذى تابعهم عليه المقريزى وجرينا على ذلك أيضا فى اللوحات

(٢) سيرى القارئ أن المأذنة البحرية حديثة البناء ومع ذلك لم يكن علوّها فى الاصل كعلو المأذنة الاخرى لان نتوها عند القاعدة يبلغ ٣٥ سنتيا وهو لا يوازى الفرق الموجود بين المنارتين فى الارتفاع

(٣) ان وجود مأذنة ثانية ليست مناظرة للاولى لمن الشواذ لان المعهود أنه متى وجد التماثل وجب التطابق بين الاجزاء ودليلنا على ذلك جامع برقوق وجامع المؤيد أما جامع الناصر محمد بالقلعة فان اختلفت احدى مأذنتيه عن الاخرى فلانهما ليستا موضوعتين وضعا متماثلا

(٤) انى لاذهب الى أن العـذر فى ازورار جوانب الجامع وجود مبان سابقة عليـه بعضها كان شاغلا لمحله كقصر يلبغا الذى ذكره المقريزى وبعضها بجواره كقصر يشبك المعروف الآن باسم حوش بردق ومبان أخرى

واذا سار الانسان خلف سور الجامع يكون على يمينه الوجهة الجنوبية الغربية المكونة مع الوجهة التى سبق وصفها زاوية قائمة وهذه الوجهة ترسم خطا مستقيما فى هذا الاتجاه طوله ٤٠ مترا تقريبا ثم تنحرف كثيرا لتوازى الوجهة التى بها البوابة بحيث تتصل بالوجهة الغربية البحرية التى بها باب الميضأة وتكوّن معها زاوية قائمة

طرز الجامع — هو الطرز المتعامد المستعمل بمصر فى القرن الثالث عشر المسيحى(١)

البوّابة والدركة (دركاه) — البوّابة الكبيرة المزخرفة بنقوشات عجيبة تؤدّى الى دركة فسيحة أبعادها كأبعاد جامع صغير ومن الدركة يتوصل الانسان بسلم ذى سبع درجات الى دهليز ينثنى دفعة واحدة الى اليسار و يتصل بباب صحن الجامع(٢) وهذا الصحن مساحته ٣٢ مترا × ٣٤,٦٠ مترا وفى كل جانب من جوانبه ايوان من الايوانات الاربعة القائمة على محورين متقاطعين على زوايا قائمة وفى وسط الصحن فسقية معقودة عليها قبة محمولة على ثمانية أعمدة من الرخام(٣) وجدران الصحن والايوانات من الحجارة المخمشة المكسوّة بطبقة من البياض أما اطار (برواز) الابواب الستة المطلة على الصحن وجانب عظيم من جدر الايوان الكبير فمكسوّة رخاما وحجارة ملوّنة ألوانا شتى متنوّعة فى الشكل والرسم . وفى الايوان الكبير الدكة وهى محمولة على قوائم وعمد صغيرة والمنبر والمحراب . وكل من المنبر والدكة متخذ من مرمر أحكمت صنعته خصوصا الدكة فان فى زواياها عمدا رفيعة مختلف ألوانها رقيق صنعها وخلف الحائط الذى فيه المحراب التربة وهى حجرة مربعة الشكل طول كل ضلع من أضلاعها ٢١ مترا وارتفاعه ٣٠,٢٠ مترا الى مبدأ القبة التى تبلغ ذروتها ٤٨ مترا وبالتربة أيضا محراب . وكسوة جدران التربة أفخر من كسوة جدران الايوان الكبير فان بها وزرة من الرخام تكسو جدرانها الداخلة على ارتفاع ثمانية أمتار ويعلو هذه طراز عرضه ثلاثة أمتار به كتابة بارزة بخط النسخ أرضيتها منقوشة بزخارف عربية وأهم مافى التربة من الزخارف هى الدلايات ذات المقرنصات التى تربط القبة بجدران التربة وهى من أبدع مايكون فى بابها وأعظم وقعا فى النفس

ملحقات الجامع — هى المدارس والميضأة والساقية . أما المدارس فواقعة خلف زوايا الصحن الاربعة وهى طبقات بعضها فوق بعض بعلو الجامع وفيها مساكن للطلبة وفى كل مدرسة من هذه المدارس ايوان وصحن به ميضأة كأن تلك المدارس مساجد صغيرة محدقة بالجامع الكبير وأكبر هذه المدارس مدرسة الحنفية وتبلغ مساحتها ٨٩٨ مترا

وقد اتخذت خلف الدركة والايوان الغربى أبنية فرعية الدور الارضى منها يشتمل على دورة مياه فسيحة مساحتها ٤١٢ مترا وتركت الجهة الوسطى من هذا المكان مكشوفة لتجدّد الهواء ودخول الضوء خلال هذه المرافق وتنخفض أرضية هذه الجهة عن أرضية الجامع بستة أمتار ونصف و يتوصل اليها من باب فى غاية الجمال وفى وسطها ميضأة من الرخام الابيض وعلى امتداد جدران هذا المكان مرافق ومنافع متنوعة

ومن ملحقات الجامع أيضا الساقية وهى فى الزاوية البحرية الغربية وتبعد عن باقى الابنية بنحو ٣٠ مترا وهى آلة بسيطة ترفع الماء الى منسوب الحياض المعدّة لتوزيعه على جميع أمكنة الجامع ثم البناء المقبب ذو الازاج القائم بين الساقية والجامع وهو متأخر فى العهد عليه لانه جاء قاطعا لمجراة قديمة محمولة على جملة كوابيل وظاهرة على سطح الساقية وعلى سطح المسجد حتى قاعدة المأذنة الكبيرة(٤) وفضلا عن ذلك فلهذا البناء نظير فيما وراء باب دورة المياه

---

(١) من أراد التفصيل فليراجع ما كتبه المعلم مكس فان برشم بالمجلة الاسيوية طبع باريس سنة ١٨٩١ وما كتبه ضمن تقارير الرسالة العلمية الفرنساوية بالقاهرة ثم فهرست الآثار العربية المودعة بالمتحف العربى لمؤلف هذا الكتاب

(٢) قد عثرنا فى موازاة الدهليز المؤدى الى صحن الجامع خلف الايوان الغربى على دهليز آخر مسدود الآن على شكل الاول وذلك ما يحدو بنا الى الظن بانه اتخذ ليكون مسلكا للميضأة كما يظهر من اتجاهه وقد هممنا بازالة الاتربة لنعرف الى أين يؤدى وصرفنا فى سبيل ذلك نفقات بالغة ولكن اضطرنا وجود الكمية الكبيرة من الاتربة الى العدول عن العمل مع أن الوصول الى غاية تذكر دونه ازالة هذه الاتربة كلها

(٣) لم يكن الغرض من اتخاذ هذه الفسقية بصحن الجامع الا الزينة ولم تستعمل للوضوء الا من عهد قريب أما الميضأة الصغيرة المجاورة لهذه الفسقية فمن زيادات عصر الدولة التركية وربما كانت من القرن السادس عشر (راجع ما كتبه المؤلف فى مجموعة جمعية المعارف المصرية سنة ١٨٩٦ من الملحوظات الانتقادية على وجود الميضآت بالجوامع)

(٤) انه وان لم يظهر من الحفر الذى أجرى اليوم علاقة هذه المجراة بالمسجد لكن لا سبيل الى الشك فيما قلناه حيث ان المجراة المذكورة لا يتأتى أن تكون اتخذت لغرض آخر غير امداد الجهات التى بناها بالماء

٣ ـــ أبعـــاد الجـــامع ومقاســـاته

قلنا فيما سبق ان أبعاد الجامع جسيمة جدّا اذ يبلغ امتداد أكبر طول فيه ١٥٠ مترا وأطول عرض منه ٦٨ مترا فتكون مساحته لا تقل عن ٧٩٠٦ مترا أما ارتفاعه عندالبوّابة فيبلغ ٣٧,٧٠ مترا وحيث كانت الارض التى شـيد عليها الجامع صخرية ومنحدرة انحدارا تدريجيا من القلعة الى المدينة وكانت جدرانه السميكة مكسوّة بحجر الآلة من ظاهرها فقد استلزم وضع أساس الجامع أعمالا جسيمة هذا وليست أرضية الجامع فى مستوواحد مع سطح الارض المحيطة به اذ ترتفع عن أرض الشارع فى النقطة التى بها مبدأ السلم بنحوخمسة أمتار وثلاثة ارباع المتر وحيث ان أرضية الشارع كانت أخفض مما هى عليه الآن بمترين فيكون تقدير ارتفاع جدران الجامع ب ٣٧,٧٠ مترا أقل من الحقيقة لانه انما أخذ باعتبار الميزانية الحالية للشارع أمام الباب وحينئذ يمكن القول بأن الجامع كان أعلى مما هوعليه الآن من جميع جهاته لان الصخر المبنى عليه كان مكشوفا قبل تسوية الشوارع المحيطة به وتختلف طبقة الردم التى وضعت حوالى الجامع فى الارتفاع بين ١,٣٠ متر و ٤,٣٠ متر

الباب الثانى

فى تاريخ الجامع وفيه فصول

الفصل الاول فى الكتابة المنقوشة على جدرانه — الفصل الثانى فى الطرف الباقية منه
الفصل الثالث فيما ورد عنه فى الكتب العربية وغير العربية

---

١ — تاريخ الجامع

المألوف فى عرف المصنفين تشبيه آثار البلد بمؤلف ضخم صحائفه الحجارة منقوش عليها تاريخ ذلك البلد . وهذا التشبيه ينطبق على جامع السلطان حسن أكثر منه على غيره من الجوامع فان جدرانه التى سوّدها كر الدهور ومر العصور يقرأ فيها المتأمل أهم أبواب تاريخ مصر فى عهد الدول الاسلامية . يقرأ فيها اقتدار هذا السلطان وعزه ثم أعراض الملوك والسلاطين من بعده ثم دأب التخريب المؤذن بالانحطاط عند خلفهم . على أن هذا الاثر الفخيم قد بقى فى أيام عزه وفخاره كما فى أيام هجرانه وعصر دماره قرة للعيون ونزهة للنفوس وقد ذكره المؤرخون وأتى على وصفه السياحون فى جميع العصور تنويها بعلو مكانته بين الآثار ولذلك يسهل علينا أن نأتى على تاريخ ماضيه اذ لا يكلفنا ذلك الاحل رموز الكتابات المنقوشة على جدرانه وتصفح كتب المؤلفين من المسلمين وغير المسلمين ممن كتبوا على هذا الجامع فى اجيال مختلفة وبلاد شتى

الفصل الاول

فى الكتابة المنقوشة على جدرانه

لاخلاف فى أن أقدم النصوص التاريخية الخاصة بهذا الجامع التى يمكن الوقوف عليها هى الكتابات المنقوشة على جدرانه وقد عنى بنشر أغلبها جناب المسيو ماكس فان برشم فى مجموعة الكتابات العربية الواردة ضمن مانشره أعضاء الرسالة الفرنساوية بمصر[١] وورد بعضها فيما جمعه المسيو ميرن تحت اسم «القاهرة والقرافة»[٢]

وقد قابلنا جميع هذه الكتابات على أصلها ونذكر منها هنا المهم

أولا — طراز[٣] الابواب الاربعة الموصلة الى المدارس وهذا صورته

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذه المدرسة المباركة مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر حسن *
ابن مولانا السلطان الشهيد المرحوم الملك الناصر محمد بن قلاوون وذلك فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة

ويلى الطراز المكتوب على باب كل مدرسة اسمها مثلا مدرسة الشافعية مدرسة الحنفية

ثانيا — الكتابة المنقوشة على الخشب فى جدران التربة الاربع وهى مختومة بهذه العبارة

وكان الفراغ من بناء هذه القبة المباركة فى شهور سنة أربع وستين وسبعمائة

---

(١) من شاء الاطلاع على ذلك فليراجعه فى المجلد التاسع عشر جزء ثان من صحيفة ٢٥١ الى ٢٧٣ (طبع باريس سنة ١٨٩٦)

(٢) راجع المجلد الثانى من صحيفة ٣١ الى ٣٢ (طبع كوبنهاجن سنة ١٨٧٠)

(٣) قد جاءت كلمة طراز فى المقريزى للدلالة على السطر من الكتابة المنقوشة على وجهة المسجد ونحوه (راجع صحيفة ٤١٧ من المجلد الثانى)

ثالثا — الكتابة المحفورة على الجهة الجنوبية الغربية من التابوت الذى وضع داخل القبة بعد موت السلطان حسن باربع وعشرين سنة وصورتها

بسم الله الرحمن الرحيم * كل من عليها فان * أمر بانشاء هذا الضريح المبارك * برسم تربة السلطان السعيد الشهيد الملك الناصر حسن وذريته تغمدهم * الله برحمته أجمعين فى العشر الاول من شهر * ذى القعدة الحرام سنة ست وثمانين وسبعمائة

رابعا — الكتابة الكوفية المنقوشة على جوانب المدرسة المالكية المتخذة حروفها من الجبس ومثبتة فى ذات الجدار وهى وان سقط بعضها الا أن ما بقى يمكن منه الاستدلال على أنها كانت مبتدئة بالبسملة ثم يليها بعض آى القرآن الكريم ومختتمة بالدعاء للسلطان وهذه صورة الباقى منها وهو لم يسبق نشره

اللهم أكثر الخير وأتبع العطا نسألك وأنت خير مسؤل . . . .

حوله من أسس هذا الخير وأصله مولانا السلطان الاعظم الما . . . .

. . . . والمساكين . . . . .

. . . . واجعل الملك

. . . . بالله

خامسا — الكتابة المحفورة على النحاس المصفح به البابان الموجودان فى الزاويتين الداخلتين للايوان الكبير وهى كتابة لم يسبق نشرها وهذه صورتها على الباب الايسر عز لمولانا السلطان * الملك الناصر حسن عز نصره

أما الباب الايمن فمكتوب عليه نفس هذه العبارة ولكن ينقصها الجملة الاولى

سادسا — وهذه الكتابة بعينها عدا آخرها محفورة بحروف نسخ على الاقراص الخشبية التى تتخلل طراز التربة وعلى كرسى الكهف ولكن فى هذا الكرسى يزاد عليها كلمتا (ابن محمد) بعد ذكر (الناصر حسن)

سابعا — الكتابة المنقوشة على دائر القبة المعقودة على الفسقية الواقعة فى صحن الجامع وهى مفتتحة بآى من القرآن الكريم ومختتمة بالتاريخ وهو سنة أربع وستين وسبعمائة

ثامنا — كتابتان ملونتان فى قطعتين من الرخام الابيض فى صدر الايوان الكبير على جانبى المحراب اولاهما وهى التى على اليمين صورتها

جدد هذ (هكذا فى الاصل) المكان المبارك حسن (هكذا فى الاصل) اغاخزبندار (هكذا فى الاصل)

والثانية التى على اليسار صورتها

الوزير ابراهيم باشا بيد الفقير محمد سنة ١٠٨٢

تاسعا — كتابات شتى خلاف التى تقدم ذكرها وهى السابقة فى العهد منقوشة فى باطن القبة المعقودة على الفسقية فوق الحالات وهى مبتدئة ببعض آى القرآن الكريم يتلوها نصوص تاريخية أضاع الزمن معظمها وهذه صورة الباقى منها مما لم يسبق نشره

لحضرة خازندار مصر سعادت . . . . . حسين أغا المشهور . . . . . .

. . . . . العمار فارخوا . . . . . وجددها ١٠٨٨

عاشرا — النقوش المكتوبة بالحبر التى عثرنا عليها بين طبقات البياض الثلاث وهى كتابة بعض زائرى الجامع وليس لها من فائدة الا قدمها فانها مكتوبة فى القرن العاشر من الهجرة وانا نسردها لمجرد العلم بها من ذلك فى الايوان الكبير على طبقة البياض الاولى ماصورته

الهى لئن جلت وجمت خطيئتى فعفوك عن ذنبى أجل وأوسع

عبده عثمان ثيرهوى سنة ٩٩٨

وفى الايوان القبلى على طبقة البياض الثانية مانصه

العبد الفقير الى الله تعالى على بن محمد البحيرى يريد من الله سبحانه وتعالى . . . . . . والتوبة انه يحب التوابين ويحب المتطهرين وذلك بتاريخ يوم الاثنين خامس عشر شهر الحجة الحرام سنة ٩١١

وفى الايوان القبلى على طبقة البياض الثالثة مانصه

الخط يبقى زمانا بعد كاتبه ... وكاتب الخط تحت الارض مدفونا

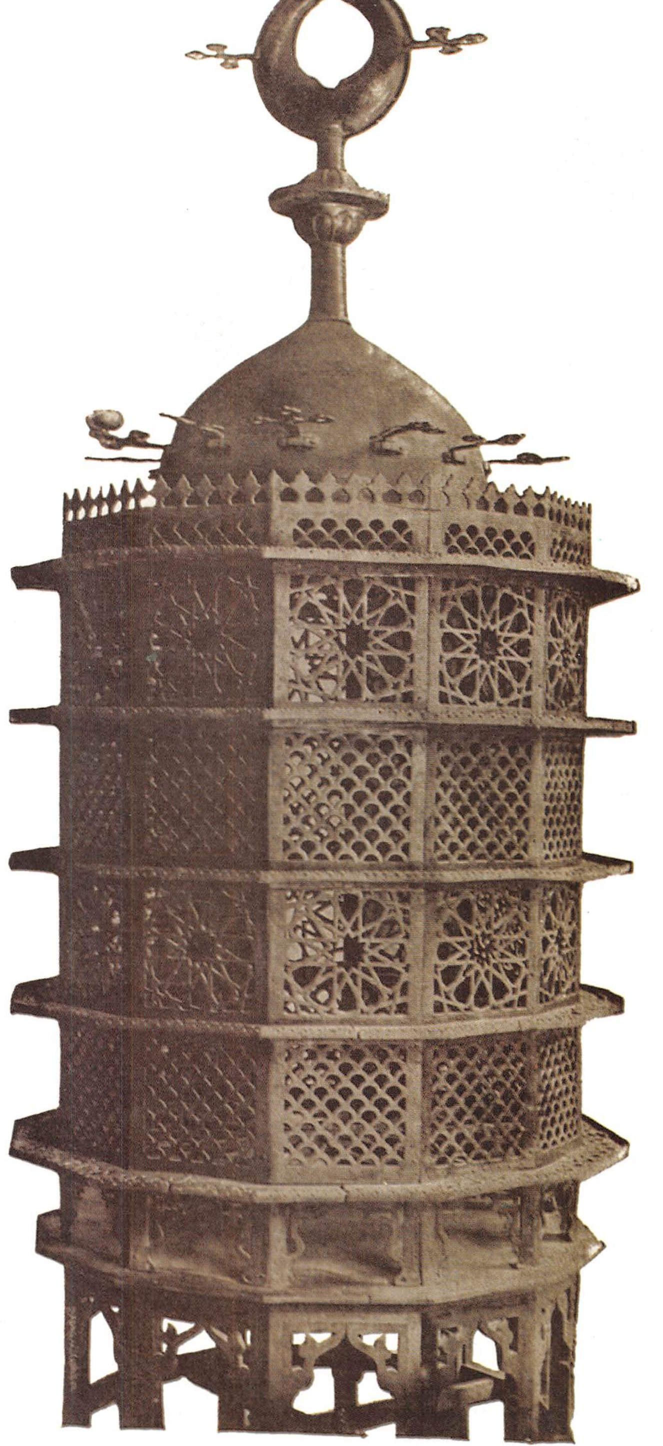
تبلى محاسنه والدود يأكله ... ووجهه بجميع الدود مرهونا

يارب ارحم عبيدا كان كاتبه ... ياقارى الخط قل بالله أمينا

اللهم آمين فى ٢٣ شهر رمضان سنة ١١٢٦

الفصل الثانى

الطرف الباقية من الجامع



شكل ١ تنور (ثريا) من نحاس

بالمتحف الاهلى المسمى بدار الآثار العربية أشياء كثيرة أصلها من جامع السلطان حسن ولذلك تعين علينا أن نتكلم عليها هنا وان اختلفت درجة ارتباطها بالجامع بمعنى أن منها ماصنع عند بنائه وبذلك صار كأنه بعضه بخلاف غيره فليس له من فائدة الا أنه وجد فى الجامع وحينئذ تكون تلك الاشياء على نوعين مختلفين

وحيث قد أتينا على وصفها فى فهرس المتحف المطبوع باللغتين الفرنساوية والانجليزية نقتصر هنا على سردها مع زيادة بعض ملاحظات على الوارد عنها فى الفهرس اذا دعت الحال

(١) التنور الكبير(١) المصنوع من النحاس المسبوك نمرة ٥٠٤ المودع فى القاعة السابعة تحت نمرة ٥٧(٢) ارتفاعه ١,٥٠ متر (راجع الرسم ١) وهذه صورة المكتوب على دائر قبته

المقر الكريم العالى المولوى الاميرى الكبيرى الاجلى
المحترمى الغازى المجاهدى المرابطى المؤيدى قيسون
الملكى الناصرى عز أنصاره

وعلى ضلع بعد ضلع من اضلاع الدور الثالث كتابة يتكون من مجموعها هذه العبارة

عمل المعلم بدر بن أبو يعلا فى شهور سنة (٣) ثلاثين وسبعمائة
فرغ فى مدة أربعطشر (هكذا فى الاصل) يوم

ومن تاريخ عمل هذا التنور يعلم أنه لم يكن فى الاصل برسم جامع السلطان حسن الذى بنى بعد هذا التاريخ بنحو أربعين سنة

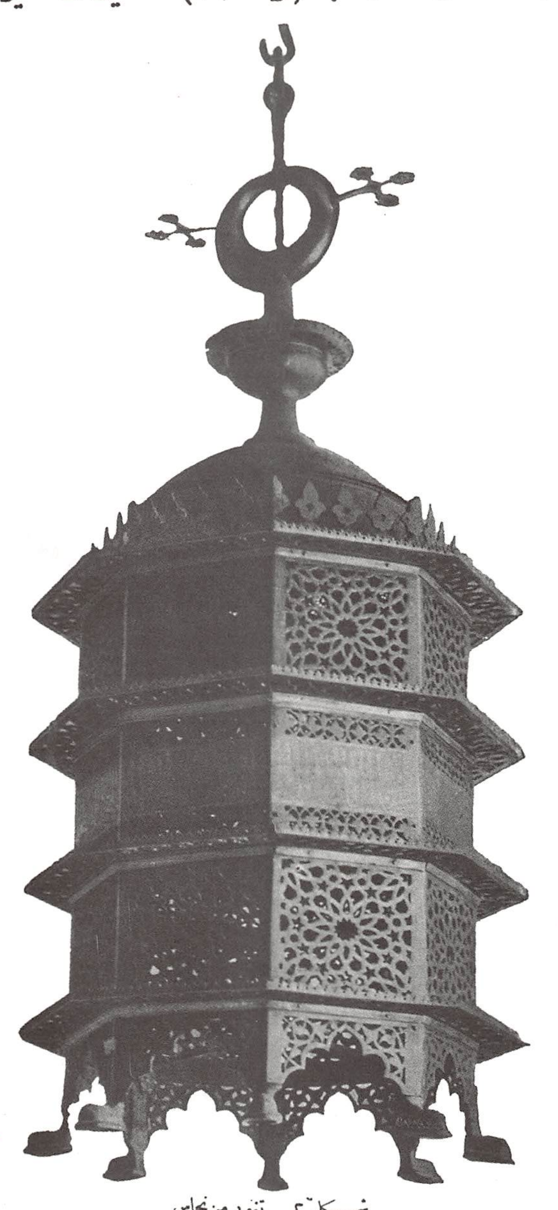
---

(١) هذه التسمية أخذت من الكتابة المنقوشة على المصباح نمرة ٥٠٣ الذى عمل برسم السلطان الغورى حوالى سنة ١٥٠٠ م إذ ابتدأها بقوله (أنشأ هذا التنور المبارك الخ)

(٢) النمرة الاولى هى النمرة العمومية المتسلسلة للصنف أما النمرة الواردة بعد اسم القاعة فهى النمرة الخصوصية فى قاعة المعرض وهذه أيضا هى الواردة فى الفهرس

(٣) المحفور على التنور جاء فيه تقديم «سنة» على «شهور»

ومن الغريب أن هذا التنور لايشبه واحدا من التنورين اللذين صورهما بسكال كوست فى كتابة (لوحة ٢١) معلقين فى الايوان الشرقى أحدهما مركب من ثلاثة أدوار والآخر من خمس وهذا الاخير قد رسمه المؤلف المذكور مرة أخرى فى كتابة (لوحة ٢٣) ولكن لم يتأت لنا أن نطبق من أوصافه شيأ على محفوظات المتحف اللهم الا أن تكون القرصة نمرة ١١١ المحفوظة فى القاعة الثانية من المتحف وسنذكرها بعد



شكل ٢ تنور من نحاس

(٢) التنور المصنوع من النحاس المسبوك نمرة ٩٣ المحفوظ بالقاعة نمرة ١ ارتفاعه متران (راجع الرسم ٢) هذا التنور على هيئة منشور مثمن وهو من ثلاثة أدوار جوانب الدور العلوى والسفلى مخرقة بخلاف جوانب الدور المتوسط فانها عبارة عن بحرين ضيقين فيهما نقوش عربية بينهما صفيحة من المعدن منقوش عليها بخط النسخ العبارة الآتية

عز لمولانا السلطان الملك الناصر العالم العامل العادل المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المنصور سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيي العدل فى العالمين ناصر الدنيا والدين حسن ابن السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن الملك المنصور قلاون الصالحى عز نصره

وقد ورد فى كتاب بسكال كوست (باللوحة ٣٠) التى هى عبارة عن منظور جامع المؤيد من الداخل تنور تنطبق أوصافه على التنور الذى نحن بصدده وان كانت أبعاده فى الرسم صغيرة وسيظهر فيما يجيء فى كلام المقريزى أن السلطان المؤيد أخذ أحد تنانير جامع السلطان حسن ووضعه فى الجامع الذى بناه ونسبه لنفسه ومن هنا يعلم أن التنور المأخوذ هو الذى أتينا على وصفه

(٣) القرصة السفلى للتنور نمرة ١٤٦ المحفوظة فى القاعة الثانية تحت نمرة ١٦ وقطرها ٠,٧٥ وهى الوارد رسمها فى الصحيفة ٨ (شكل ٣) وهذه القرصة من النحاس الاصفر المطرق محفور عليها نقوش بالكتابة وصور حيوانات أما الكتابة فهذه صورتها

العز الدائم . الاقبال الملازم . والعمر السالم . الدولة الطافية

(٤) القرصة السفلى من التنور نمرة ٢٤٠ المحفوظة فى القاعة الثانية تحت نمرة ١١١ قطرها ١,٥٠ متر وهذه القرصة ينطبق عليها الرسم[١] الوارد فى اللوحة نمرة ٢٣ من كتاب بسكال كوست وعلى حافة هذه القرصة ست دوائر مكتوب بداخلها عز لمولانا السلطان

وهذه القرص كانت تعلق باسفل التنور لمنع سقوط زيت الثريا على الارض وفضلا عن هذه المزية فانها من متممات ومحسنات شكل التنور حيث تستر فى داخله هيكلا لم يكن بالجميل

وكان الضوء ينبعث من ظاهر هذه التنانير خلافا لما يتبادر للذهن وذلك بواسطة مسارج صغيرة زجاجية توضع فى الفتحات المستديرة الموجودة فى الرفوف الفاصلة بين طبقات التنور

ولا تزال ترى احدى هذه المسارج فى (الشكل ١) مركبة فى نهاية أحد الاذرع المثبتة تحت قبة التنور . وكان من العادة ازال التنانير من محلها عند الحاجة لتنظيفها ومسحها فكانت تفصل عن القرصة السفلى لها ثم توضع على قواعد من الخشب ويساعد على هذا الفهم وجود الارجل التى تنتهى بها قوائم التنور

(١) هذا الرسم بل كل تفاصيل الرسومات الواردة فى الكتاب المذكور ليست على غاية من الدقة والضبط

وعدا التنانير الكبيرة التى كانت توضع عادة فى أهم جوانب الجامع كالايوان الكبير أو التربة توجد ثريات من المعـــدن صغيرة الحجم ولكنها دقيقة الصنع لو نظرنا لقوة ضوئها لحكمنا بقلة الفائدة فى استعمالهـا لانها مهما اختلفت شكلا بأن كانت على شكل هرم ناقص أو على هيئة مخروط ناقص ترتبط قبته بالقرصة بواسطة سلاسل أو كانت تلك القرصـة المعلقة هى الثريا نفسهـا فان مسارجها قليلة العدد وموضوعة بشكل يجعل انبعاث الضوء منها ضعيفا لايفى الا باظهار جمال شكل الثريا وبديع صنعها



شـكل ٣ صفية تنـور

ولما كانت هـــذه المسارج ضعيفة الضوء اضطرت الحال الى ايجاد نوع ثالث صغير الحجم يمكن تعليقه فى أى جهة من جهات الجامع ليبعث ضوأ ساطعا فاخترعت المصابيح الزجاجية المصنوعة بالمينا التى كانت تزدان بالكثير منها المساجد ونحوها ثم تلاشت شـيأ فشيأ باهمال نظار المساجد ولا يزال يوجد بدار الآثار العربية مصابيح من أحسن أجناسها وهــذه الصناعة عدم أهلوها ولم يبق لهم الا مقلدون غير متقنين وهــذه المصابيح كانت تعلق فى السلاســل الطويلة التى نراها مدلاة حتى اليوم من سقوف أواوين المساجد

ولم تكن هـــذه المصابيح ليوقد فيهـا بل كان يركب على رقبتها مشابك لهـا سلوك تدلى للداخل فى أطرافها حلقة توضع فى وسطها مسرجة من الزجاج وفيها الزيت والفتيلة وقد يتبادر للذهن أن وجود قاعدة لهذه المصابيح يسـتلزم أنهـا كانت توضع على كراسى لهـا فى وسط الجامع ولكن ليس الامر كذلك بل الغاية من هذه القواعد سهولة تعميرها ونظافتها كما هو الحال فى التنانير الكبيرة

أما الاذان فلا حاجة للقول بأنها وضعت لتعليقها منها فى السلاسل

(٥) صورة هلال من نحاس أصفر نمرة ٢٣٥ محفوظ فى القاعة الثانيـة نمرة ١٠٦ ارتفاعه ٠,٤٣ ويتخلل فضاء هذا الهلال قطعة نحاس مستطيلة الشكل موضوعة وضعا أفقيا ومنقوش على أحد جانبيها ما يأتى

لا اله الا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق



شكل ٤ آنيـة من نحاس

ومن الجانب الآخر ما صورته

نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا

ومن طرف الجامع المحفوظة بالمتحف تحت نمرة ١٣٣ بالقاعة الثانية نمرة ٤ آنية من النحاس الاصفر لها غطاء وهى بديعـة الشكل ارتفاعها ٤٤ سنتيا (راجع الشكل ٤) وحسن شكل هذه الآنية مرجعه الى دقائق شـغل التطريق فان سطحها موشح بالزخارف والكتابات منها ما هو على دائر رقبة الآنية وصورته

عز لمولانا السلطان الملك الناصر العالم العامل العادل الغازى المجاهد المرابط المثاغر المنصور ناصر الدنيا والدين حسن بن السلطان الملك الناصر

وعلى غطاء هذه الآنية ثلاث طغراوات منقوش فيها

السـلطان الملك النـاصر

ومن طرفه أيضا أربع أوان من الخزف المدهون وهى المحفوظة فى دار الآثار العربية تحت نمرة ٣١٩ ونمرة ٣٢٠ ونمرة ٣٢١ ونمرة ٣٢٢ وارتفاعها يختلف من ٢٦ سنتيا الى ٦٠ سنتيا

وعدد مصابيح الزجاج المشغولة بالمينا المودعة فى القـاعة الرابعة بالمتحف البـاقية من جامع السلطان حسن أربع وثلاثون مصباحا(١) بصرف النظر عن المصباح نمرة ٢٥٧ الخالى عن النقوش والكتابات الذى يظن أنه عمل لتعويض مصباح فقد بين مصابيح الجامع

وجميع هذه المصابيح عليها الكتابات والطغراوات السلطانية داخل دائرة وصورتها

عز لمـولانا السـلطان الملك

وهاك بيـان تلك المصابيح وأوصافها

المصباح نمرة ٢٦٧ ارتفـاعه ٤١ سنتيا مغشى بنقوش زهرية مرسومة فى جسم الزجاج على أرضية من المينا الزرقاء(٢)

المصباح نمرة ٢٦٨ ارتفـاعه ٤٢ سنتيا به نقوش وزخارف مختلفة الالوان داخل أشكال متقاطعة الاضلاع من المينـا البيضاء ويرى على الزجاج آثار تمويه تلك الاشكال

المصباحان نمرة ٢٧٤ و ٢٧٥ ارتفاع أولهما ٤٥ سنتيا والثانى ٤٢ ـ هذان المصباحان وهما من الزجاج المشغول بالمينـا متشابهان قلبا وقالبا ولكن الاول قاعدته كسرت فاستعيض عنها بقاعدة من الخشب

المصباح نمرة ٢٧٦ ارتفاعه ٤٠ سنتيا . وهو يشبه المصباحين السالفى الذكر ويرى على صفحات رقبته صور طيور دقيقة الرسم

(١) ومن مصابيح الجامع مصباحان دخلا اليوم فى حوزة أحد الضبـاط وهما اللذان أتى على وصفهما وتاريخهما صاحب السعادة يعقوب أرتين باشا فى أحد تقاريره التى عرضها على جمعية المعارف المصرية فى سنة ١٨٨٦ وعدهما من آثار هذا الجامع

(٢) المصباح نمرة ٢٦٦ وان لم يرد فى دفاتر دار الآثار بيان مصدره ولكنه لكثرة شبهه بالمصباح نمرة ٢٦٧ يظن أنه من مخلفات جامع السلطان حسن

المصباح نمرة ٢٨٠ ارتفاعه ٤١ سنتيا . (راجع شكل ٥)

المصباح نمرة ٢٨١ ارتفاعه ٣٦ سنتيا

المصباح نمرة ٢٨٢ ارتفاعه ٤١ سنتيا



شكل ٥ مصباح من زجاج مدهون بالمينا

المصباح نمرة ٢٨٣ ارتفاعه ٣٥ سنتيا تحيط بكرشه رسومات أزهار مصنوعة على الزجاج

المصباح نمرة ٢٨٤ ارتفاعه ٣٥ سنتيا

المصباح نمرة ٢٨٥ ارتفاعه ٣٧ سنتيا كرشه مكسور

المصباح نمرة ٢٨٦ ارتفاعه ٣٨ سنتيا

المصباح نمرة ٢٨٧ ارتفاعه ٣٨ سنتيا

وهذه المصابيح الثمانية مكتوب على رقبتها آيات قرآنية تتخللها طغراوات ثلاث باسم السلطان كما سبقت الاشارة لذلك

أما جسم المصابيح فمشغول بالمينا . وتبتدئ النقوش بالآية الشريفة

الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح

المصابيح من نمرة ٢٩٧ الى ٣٠١ يختلف ارتفاعها بين ٣٧ سنتيا و ٤١ سنتيا والمصباح نمرة ٣٠٠ هو المبين (فى الرسم ٦) وجميع هذه المصابيح من الزجاج المشغول بالمينا والآية القرآنية الكريمة المكتوبة على رقبتها بالازرق يتخللها طغراوات السلطان كما فى المصابيح التى سبق الكلام عنها

وعلى كرشها عبارة تاريخية مكتوبة بخط النسخ فى باطن الزجاج على أرضية من المينا الزرقاء



شكل ٦ مصباح من زجاج مدهون بالمينا

وفى أسفل الكرش زخارف وثلاث طغراوات مشابهة للطغراوات التى على الرقبة وهذه صورة الكتابة التاريخية

عز لمولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين حسن بن محمد عز نصره

المصابيح من نمرة ٣١١ الى نمرة ٣٢٢ يختلف ارتفاعها من ٣٦ سنتيا الى ٤٢ سنتيا . أما المصباح نمرة ٣١١ فرقبته مكسورة والمصباحان نمرة ٣١٨ ونمرة ٣١٩ فليس لهما قاعدة والمصباح نمرة ٣٢٢ مكسر . وجميع هذه المصابيح بها الكتابات مثل السابقة ولكنها تختلف عنها بكون الكتابة التى على الرقبة محلاة برسومات زهرية على أرضية من المينا البيضاء

المصباح نمرة ٣٢٣ ارتفاعه ٣٢ سنتيا . وهو وان يكن مجردا عن الرقبة الا أنه يظهر أنه من جنس المصابيح السالفة الذكر لان زخارف كرشه مشابهة لزخارف المصباح نمرة ٣١٨

المصباحان نمرة ٣٢٥ ونمرة ٣٢٦ ارتفاع كل منهما ٣٢ سنتيا بهما كتابات كما فى المصابيح السالفة الذكر وتمتاز بكون الكتابة التى على الرقبة حروفها مموهة بالذهب على أرضية من المينا الزرقاء يتخللها رسومات بيضاء على هيئة أغصان ملتوية وكتابات الكرش من المينا الزرقاء على أرضية شفافة

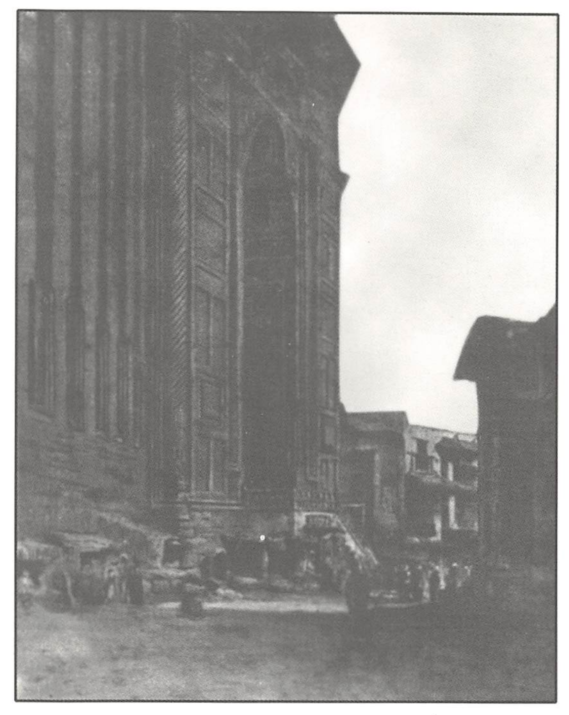
المصباح نمرة ٣٢٧ ارتفاعه ٣٧ سنتيا به كتابة مزخرفة برسوم على هيئة أغصان ملتوية على البياض وحروف الكتابة التى على رقبة هذا المصباح من المينا الزرقاء على أرضية من الزجاج . أما الاحرف التى على كرشه ففى باطن الزجاج على أرضية من المينا الزرقاء

الفصل الثالث

فيما ورد عن الجامع فى الكتب العربية وغير العربية

قال المقريزى تحت عنوان جامع الملك الناصر حسن(١)

هذا الجامع يعرف بمدرسة السلطان حسن وهو تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل(٢) وكان موضعه بيت الامير يلبغا اليحياوى الذى تقدّم ذكره عند ذكر الدور . وابتدأ السلطان عمارته فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة وأوسع دوره وعمله فى أكبر قالب وأحسن هندام وأضخم شكل فلا يعرف فى بلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحكى هذا الجامع . أقامت العمارة فيه مدّة ثلاث سنين لا تبطل يوما واحدا وأرصد لمصروفها فى كل يوم عشرون ألف درهم عنها نحو ألف مثقال ذهبا . ولقد أخبرنى الطواشى مقبل الشامى أنه سمع السلطان حسنا يقول انصرف على القالب الذى بنى عليه عقد الايوان الكبير مائة ألف درهم نقرة وهذا القالب مما رمى على الكيمان بعد فراغ العقد المذكور . قال وسمعت السلطان يقول لولا أن يقال ملك مصر عجز عن اتمام بناء لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ماصرف عليه . وفى هذا الجامع عجائب من البنيان منها أن ذرع ايوانه الكبير خمسة وستون ذراعا فى مثلها(٣) ويقال انه أكبر من ايوان كسرى الذى بالمدائن من العراق بخمسة أذرع ومنها القبة العظيمة التى لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها ومنها المنبر الرخام الذى لا نظير له ومنها البوّابة العظيمة ومنها المدارس الاربع التى بدور قاعة الجامع الى غير ذلك وكان السلطان قد عزم على أن يبنى أربع منابر يؤذن عليها فتمت ثلاث منابر الى أن كان يوم السبت سادس شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة فسقطت



شكل ٧ منظر جامع السلطان حسن قبل بناء جامع الرفاعى منقولا عن رسم نظرى محفوظ لدى سعادة تكران باشا من عمل النقاش فيدلر الشهير

المنارة التى على الباب فهلك تحتها نحو ثلثمائة نفس من الايتام الذين كانوا قد رتبوا بمكتب السبيل الذى هناك ومن غير الايتام وسلم من الايتام ستة أطفال فأبطل السلطان بناء هذه المنارة وبناء نظيرتها وتأخر هناك منارتان هما قائمتان الى اليوم(٤) ولما سقطت المنارة المذكورة لهجت عامة مصر والقاهرة بأن ذلك منذر بزوال الدولة فقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد احمد بن على بن محمد السبكى فى سقوطها

أبشر فسعدك ياسلطان مصر أتى * بشيره بمقال سار كالمثل
ان المنارة لم تسقط لمنقصة * لكن لسر خفى قد تبين لى
من تحتها قرئ القرآن فاستمعت * فالوجد فى الحال أداها الى الميل
لو أنزل الله قرآنا على جبل * تصدعت رأسه من شدّة الوجل
تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت * من خشية الله لا للضعف والخلل
وغاب سلطانها فاستوحشت ورمت * بنفسها لجوى فى القلب مشتعل
فالحمد لله حظ العين زال بما * قد كان قدره الرحمن فى الازل
لا يعترى البؤس بعد اليوم مدرسة * شيدت بنيانها بالعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلاءت * علما فليس بمصر غير مشتغل

---

(١) قد تفضل حضرة محمد بك بيرم سكرتير جناب المستشار المالى فساعدنى على ترجمة هذا الفصل الى اللغة الفرنساوية ولذلك أقدم لحضرته وافر الشكر كما أنى أشكر يوسف أفندى أحمد الرسام باللجنة على أن مدّ لى يد المساعدة فى البحث عن المواضع المتعددة التى ذكر فيها هذا الجامع من الكتب العربية

(٢) بركة الفيل كانت باقية الى عهد احتلال الفرنسيس مصر ولذلك يرى موقعها واضحا فى الخريطة التى قام برسمها جماعة المهندسين الذين جاؤا مع بونابارت أما اليوم فقد أنطمت وزال أثرها

(٣) راجع ما جاء فى تذكرة المهندسين للمرحوم على باشا مبارك تجد تفصيلا مهما عما يساويه الذراع بالنسبة للمتر

(٤) جاء فى كتاب بريس دافن أن احدى هاتين المنارتين سقطت ثم أعيد بناؤها ولا تزال قائمة

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المنارة بثلاثة وثلاثين يوما ومات السلطان قبل أن يتم رخام هذا الجامع فأتمه من بعده الطواشى بشير الجمدار(١) وكان قد جعل السلطان على هذا الجامع أوقافا عظيمة جدًا فلم يترك منها الا شئ يسير وأقطع أكثر البلاد التى وقفت عليه بديار مصر والشام لجماعة من الامراء وغيرهم وصار هذا الجامع ضدا لقلعة الجبل قلما تكون فتنة بين أهل الدولة الا ويصعد عدّة من الامراء وغيرهم الى أعلاه ويصير الرمى منه على القلعة فلم يحتمل ذلك الملك الظاهر برقوق وأمر فهدمت الدرج التى كان يصعد منها الى المنارتين والبيوت التى كان يسكنها الفقهاء ويتوصل من هذه الدرج الى السطح الذى كان يرمى منه على القلعة وهدمت البسطة العظيمة والدرج التى كانت بجانبى هذه البسطة التى كانت قدّام باب الجامع حتى لايمكن الصعود الى الجامع وسدّ من وراء الباب النحاس الذى لم يعمل فيما عهد باب مثله وفتح شباك من شبابيك أحد مدارس هذا الجامع ليتوصل منه الى داخل الجامع عوضا عن الباب المسدود فصار هذا الجامع تجاه باب القلعة المعروف بباب السلسلة وامتنع صعود المؤذنين الى المنارتين وبقى الاذان على درج هذا الباب.

وكان ابتداء هدم ما ذكر فى يوم الاحد ثامن صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة ثم لما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ فى عمارة الجامع بجوار باب زويله اشترى هذا الباب النحاس والتنور النحاس الذى كان معلقا هناك بخمسمائة دينار ونقلا فى يوم الخميس سابع عشرى شوّال سنة تسع عشرة وثمانمائة فركب الباب على البوّابة وعلق التنور تجاه المحراب(٢) فلما كان فى يوم الخميس تاسع شهر رمضان سنة خمس وعشرين وثمانمائة أعيد الاذان فى المأذنتين كما كان وأعيد بناء الدرج والبسطة وركب باب بدل الباب الذى أخذه المؤيد واستمر الامر على ذلك

الملك الناصر

الملك الناصر أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاوون جلس على تخت الملك وعمره ثلاث عشرة سنة فى يوم الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بعد أخيه الملك المظفر حاجى وأركب من باب الستارة بقلعة الجبل وعليه شعار السلطنة وفى ركابه الامراء الى أن نزل بالايوان السلطانى ومدبرو الدولة يومئذ الامير يلبغا روس والامير الجيبغا المظفرى والامير شيخو والامير طاز وأحمد شاد الشرابخاناه وأرغون الاسماعيلى فخلع على يلبغا روس واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر عوضا عن الحاج أرقطاى وقرر أرقطاى فى نيابة السلطنة بحلب وخلع على الامير سيف الدين منجك اليوسفى واستقر فى الوزارة والاستادارية(٣) وقرر الامير أرغون شاه فى نيابة السلطنة بدمشق فلما دخلت سنة تسع وأربعين كثر انكشاف الاراضى من ماء النيل بالبر الشرقى فيما يلى بولاق الى مصر فاهتم الامراء بسدّ البحر مما يلى الجيزة وفوض ذلك للامير منجك فجمع مالا كثيرا وأنفقه على ذلك فلم يفد فقبض على منجك فى ربيع الاول وحدث الوباء العظيم فى هذه السنة وأخرج أحمد شاد الشرابخاناه لنيابة صفد والجيبغا لنيابة طرابلس فاستمر الجيبغا بها الى شهر ربيع الاول سنة خمسين فركب الى دمشق وقتل أرغون شاه بغير مرسوم فانكر عليه وأمسك وقتل بدمشق . وفى سنة احدى وخمسين صار من دمشق عسكر عدته أربعة آلاف فارس ومن حلب ألفا فارس الى مدينة سنجار ومعهم عدة كثيرة من التركمان فحصروها مدة حتى طلب أهلها الامان ثم عادوا وترشد السلطان واستبد بأمره وقبض على منجك ويلبغا روس وقبض بمكة على الملك المجاهد صاحب اليمن وقيد وحمل الى القاهرة فأطلق ثم سجن بقلعة الكرك فلما كان يوم الاحد سابع عشر جمادى الآخرة ركب الامراء على السلطان وهم طاز واخوته ويلبغا الشمسى وبيغوا روو وقفوا تحت القلعة وصعد الامير طاز وهو لابس الى القلعة فى عدة وافرة وقبض على السلطان وسجنه بالدور فكانت مدّة ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأقيم بدله أخوه الملك الصالح صالح فأقام السلطان حسن مجمعا على الاشتغال بالعلم وكتب بخطه نسخة من كتاب دلائل النبوّة للبيهقى الى يوم الاثنين ثانى شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأقامه الامير شيخو العمرى فى السلطنة وقبض على الصالح وكانت مدة سجنه ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما فرسم بامساك الامير طاز واخراجه لنيابة حلب . وفى ربيع الاول سنة سبع وخمسين هبت ريح عاصفة من ناحية الغرب من أول النهار الى آخر الليل اصفر منها الجو ثم احمر ثم اسود فتلف منها شئ كثير . وفى شعبان سنة تسع وخمسين ضرب الامير شيخو بعض المماليك بسيف فلم يزل عليلا حتى مات(٤) . وفى سنة تسع وخمسين كان ضرب الفلوس الجدد فعمل كل فلس زنة مثقال وقبض على الامير طاز نائب حلب وسجن

---

(١) من وظائف أمراء الدولة الجركسية ومدلول هذه الوظيفة التحدث فى ملابس السلطان

(٢) لايزال هذا الباب النحاس مركبا على بوابة جامع المؤيد أما التنور فقد أودع دار الآثار العربية وقد مرّ بك وصفه فى الباب الثانى

(٣) الاستادارية وظيفة موضوعها النظر فى أمر الدور السلطانية ولصاحبها التصرف التام فى استدعاء ما تحتاجه كل دار من النفقات والكساوى قال المقريزى ولم تزل رتبة الاستادار على ذلك حتى أيام الظاهر برقوق فأصبح صاحب هذه الوظيفة فى معنى ما كان فيه الوزير أيام الخلفاء لعموم تصرفه ونفوذ أمره فى سائر أحوال المملكة اهـ مترجم

(٤) جاء فى المقريزى أن شيخو مات من جراحه ليلة الجمعة سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وسبعمائة (راجع صحيفة ٣١٤ جلد أول)

بالاسكندرية وقرر مكانه فى نيابة حلب الامير منجك اليوسفى وأمسك الامير صرغتمش فى شهر رمضان منها وكانت حرب بين مماليكه ومماليك السلطان انتصر فيها المماليك السلطانية وقبض على عدة أمراء فأنعم السلطان على مملوكه يلبغا العمرى الخاصكى بتقدمة ألف عوضا عن تنكربغا الماردانى أمير مجلس بحكم وفاته . وفى سنة ستين فر منجك من حلب فلم يوقف له على خبر فأقر على نيابة حلب الامير بيدمر الخوارزمى وسار لغزو سيس فأخذ اذنه بأمان وأخذ طرسوس والمصيصة وعدّة بلاد وأقام بها نوابا وعاد فلما كانت سنة اثنتين وستين عدى السلطان الى بر الجيزة وأقام بناحية كوم برا مدة طويلة لوباء كان بالقاهرة فتنكر الحال بينه وبين الامير يلبغا وكان قد أحس بذلك وخرج عن الخيام وكمن بمكان وهو لابس فى جماعته فلم يظفر السلطان به ورجع فثار به يلبغا فانكسر بمن معه وفر يريد قلعة الجبل فتبعه يلبغا وقد انضم اليه جمع كثير ودخل السلطان الى القلعة فلم يثبت وركب معه أيدمر الدوادار(١) ليتوجه الى بلاد الشام ونزل الى بيت الامير شرف الدين موسى بن الازكشى أمير حاجب فبعث فى الحال الى الامير يلبغا يعلمه بمجيء السلطان اليه فبعث من قبضه هو والامير أيدمر ومن حينئذ لم يوقف له على خبر البتة مع كثرة فحص أتباعه وحواشيه عن قبره وما آل اليه أمره فكانت مدة ولايته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأياما وكان ملكا حازما مهابا شجاعا صاحب حرمة وافرة وكلمة نافذة ودين متين حلف غير مرة أنه مالاط ولا شرب خمرا ولا زنى الا أنه كان يبخل ويعجب بالنساء ولا يكاد يصبر عنهن ويبالغ فى اعطائهن المال وعادى فى دولته أقباط مصر وقصد اجتثاث أصلهم وكره المماليك وشرع فى اقامة أولاد الناس أمراء وترك عشرة بنين وست بنات وكان أشقر أنمش وقتل وله من العمر بضع وعشرون سنة ولم يكن قبله ولا بعده فى الدولة التركية مثله اهـ

وقد ذكر صاحب الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة وهو الحافظ شهاب الدين أحمد بن على المعروف بابن حجر(٢) جامع السلطان حسن فقال عنه ان شهرته تغنى عن ذكره وسماه بجامع الرميلة وانه قائم فى مكان قصر بناه والد السلطان لاحد أمرائه المسمى يلبغا اليحياوى فأخذه منه حسن وهدمه وشيد الجامع موضعه وعند ذكر المؤلف لاسم السلطان حسن تراه يشدد عليه النكير ويرميه بالطمع والقسوة وقتل الكثير من رعاياه ويقول انه لم يكن فى الاصل اسمه حسن وانما كان مسمى قمارى وبينما كان يوما مع مربيه ناداه باسمه فأجابه ليس اسمى قمارى ياأبتى انما اسمى حسن فأجابه ليكن كذلك على خيرة الله اهـ

أما غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى الذى كان معاصرا للسلطان الظاهر أبى سعيد جقمق (٨٤٧ - ٨٥٧ هـ ١٤٤٣ - ١٤٥٣ م) فقد تكلم على جامع السلطان حسن فى كتابه «زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك» (٣) حيث قال وأما مدرسة السلطان حسن تجاه القلعة المنصورة فليس لها نظير فى الدنيا . حكى أن الملك الناصر حسن المشار اليه لما أمر بعمارتها طلب جميع المهندسين من أقاطير الارض وأمرهم بعمارة مدرسة يكون ليس عمر أعلى منها على وجه الارض وسألهم أى الاماكن أعلى فى الدنيا فى العمارة فقيل له ايوان كسرى أنوشروان فأمر أن يقاس ويحرر وتعمر المدرسة أعلى منه بعشرة أذرع فعمرت وعمر بها أربع منارات وقيل ثلاث فى ارتفاع المدرسة أيضا ثم هدم بعض المنارات واستمرت الآن على اثنتين وايوان كسرى كان واحدا وبهذا أربعة أواوين وهى عجيبة من عجائب الدنيا سمك جدارها ثمانية عشر ذراعا بالمصرى حتى أن المنارات المذكورة ترى من مسيرة يوم واحد وقيل من أكثر من ذلك قيل ان متحصل وقفها فى كل سنة نيف عن متحصل مملكة ضخمة واتفقت نكتة أحببت ذكرها وهو أن فرنجيا أتى الديار المصرية وأسلم ونصب حبلا من احدى المنارات الى سطح طبقة الاشرفية وهى احدى طباق القلعة المنصورة المسافة بينهما مقدار ميل ومشى عليه بيديه ورجليه وهو تارة يطلق نفطا وتارة يرمى بقوس جرخ كان بيده فلما وصل الى نصف الحبل وأهل الديار المصرية مجتمعون ينظرون اليه ألقى نفسه فصاح القوم كلهم وكان بيده حبل دقيق مربوط بالحبل المنصوب فتعلق به وصعد وصاح وصلى على النبى عليه السلام اهـ

وقد ورد ذكر مدرسة السلطان حسن فى كتاب بدائع الزهور فى وقائع الدهور لابن اياس الحنفى . وهذا المؤرخ بعد أن قال مانقلناه عن المقريزى من أنها بنيت سنة ٧٥٧ وبالغ فى وصفها روى أن المسافرين فى البحر الرومى كانوا يرون القناديل التى كانت تعلق فى مناراتها ليلا . وقال فى موضع آخر انهم بعد تمام البناء ملؤا الفسقية التى فى الصحن سكرا بماء الليمون وأباحوا للعامة الشرب منها ثم فرق

---

(١) الدوادارية وظيفة موضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وتقديم القصص والبريد اليه مع كاتب السر والمشاورة على من يحضر بالباب وصاحبها هو الذى يقدم للسلطان كل ما تؤخذ عليه العلامة السلطانية من المناشير والكتب وفى دولة الاشرف شعبان بن حسين كان الدوادار يخرج المراسيم بغير مشاورة بل أصبح فى أيام برقوق ينازع الاستادار ويتحكم فى جليل أمور الدولة من المال والبريد والاحكام والعزل والولاية اهـ مترجم

(٢) هذا الكتاب المكتوب بخط اليد فى سنة ٨٣٠ هجرية محفوظ فى دار الكتب الخديوية تحت نمرة ١٠٢ أما المؤلف ابن حجر فولد فى سنة ٧٧٣ هجرية ومات فى سنة ٨٥٣

(٣) طبع هذا الكتاب فى باريس سنة ١٨٩٥ ميلادية

الذهب على العملة فخص كل عامل عشرة دنانير . أما المهندسون فوزعت عليهم الجوائز السنية . وختم هذا الفصل بما بلغه بالتواتر من أنهم عند حفر الاساس عثروا على كنز ولذلك تمكنوا من اتمام البناء وانهم وجدوا كذلك هلبا واستدلوا على أن مياه النيل كانت قبل ذلك التاريخ تغمر تلك الجهة

وقد طالعت فى كتاب شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابى الفلاح عبد الحى بن أحمد المعروف بابن العماد الحنبلى وهى نسخة بخط اليد محفوظة بالمكتبة الخديوية تحت نمرة ١١١٢ جملة تتعلق بوفاة السلطان حسن مفيدة لمغايرتها لما جاء فى سائر كتب التواريخ وذلك أن المؤرخ المذكور عند ماسرد حوادث سنة ٧٦٢ (١٣٦٠) تكلم على فتنة الامير يلبغا الخاصكى فقال انه بمعونة غيره من الامراء حصر السلطان فى القلعة وقبض عليه وبعد أن أخذ البيعة لاخيه عذبه الى أن مات بعد أيام قلائل فدفن فى احدى مساطب بيته

أما الشيخ عبد الرحمن الجبرتى فأتى فى كتابه المسمى (عجائب الآثار) على ذكر الجامع فى عصر دولة المماليك عصر الشرور والفتن بينما كانت جدرانه متخذة أبراجا يرمى من عليها وأسواره قلاعا يحتمى بها المقاتلة . ومما يستحق ايراده هنا من كلامه هذه الجملة

وفى يوم الثلاثاء ثانى شهر شعبان (سنة ١١٩٢) ركب سليم أغا فى عصريته الى جامع السلطان حسن بن قلاوون الذى بسوق السلاح وأحضر معه فعلة وفتح باب المسجد المسدود وهو الباب الكبير الذى من ناحية سوق السلاح فهدموا الدكاكين التى حدثت أسفله والبناء الذى بصدر الباب وكان مدة سدّه فى هذه المرة احدى وخمسين سنة وكان سببها المقتلة التى قتل فيها أحد عشر أميرا ببيت محمد بك الدفتردار فى سنة تسع وأربعين وسبب فتحه أن أهل بعض الخطة تذاكر مع الاغا فى شأنه وأعلمه بحصول المشقة على الناس المصلين فى الدخول اليه من باب الرميلة وربما فاتهم حضور الجماعة فى مسافة الذهاب وأن الاسباب التى سدّ الباب من أجلها قد زالت وانقضت ونسيت فاستأذن سليم اغا ابراهيم بك ومراد بك فى فتحه فأذنا له ففتحه وصنع له بابا جديدا عظيما وبنى له سلالم ومصاطب وأحضر نظاره وأمرهم بالصرف عليه وكان يأتى فى كل يوم يباشر العمل بنفسه وعمروا ماتشعث منه ونظفوا حيطانه ورخامه وظهر بعد الخفاء وازدحم الناس للصلاة فيه وأتوا اليه من الامكنة البعيدة اهـ (صحيفة ١٠٧ جلد ثانى)

أما على باشا مبارك فلم يورد فى كتابه المسمى بالخطط التوفيقية شيأ جديدا عن تاريخ الجامع الا أنه قد أتى فى الفصل الذى عقده له على صورة الوقفية المبينة للاوقاف المحبوسة على الجامع وذكر أن كل مدرسة من المدارس الاربع يمكن أن تحتوى على مائة من الطلبة لهم شيخ وأن من بين الخدمة ذوى المرتبات فى الجامع واحد يلقب بالسطوحى وظيفته حراسة السطح الى أن قال ان ايرادات الجامع أخذت تقلّ شيأ فشيأ حتى بلغت فى سنة ١٢٩٠ (١٨٨١) وهى السنة التى عهد فيها بأمر الجامع الى مصلحة الاوقاف ١٠١٧٥ قرشا من ذلك ٤٥٠٠ مرتبات الخدمة والباقى لصيانة الجامع واقامة الشعائر فيه

وحيث قد أتينا على ماذكره بشأن هذا الجامع مؤرخو العرب فلننظر فيما قاله عنه كتاب الفرنج ومنهم سائحان

الاول ــ بيترو دلافاليه

قد وردت فى رحلة هذا السائح جملة عن هذا الجامع وهى وان كانت قليلة الالفاظ الا أنها فى غاية الاهمية لتعلقها بالقبة الاصلية التى درست وهاك ترجمة ماقاله فى مكتوبه الثانى عشر المؤرخ ٧ مارس سنة ١٦١٦

بينما أنا عائد الى البيت رأيت داخل المدينة تجاه قلعة الجبل جامعا لم أر أجمل منه منظرا ولا أبدع منه شكلا على ماظهر لى من الخارج أقول من الخارج لانه غير مسموح للنصارى الدخول فى جوامع هذه المدينة . وهذا الجامع اسمه جامع السلطان حسن نسبة لبانيه وأحسن ماراقنى منه قبته وشكلها الغريب الذى لم أشاهد مثلها فانك بينما تراها ضيقة من الاسفل تتسع فى عينيك كلما تعلو ثم تأخذ فى الضيق على هيئة بيضة الدجاج (راجع ماذكرته فى الباب الثالث تحت عنوان ملحوظات وانتقادات فقرة ثالثة)

الثانى ــ مسيو تفنو

ذكر مسيو تفنو فى رحلته ببلاد المشرق جملة ليست تنقص عما قاله بيترو دلافاليه فائدة سيما وأنه جاء مصر فى سنة ١٦٥٧ مسيحية وهذا ماقاله فى صحيفة ٢٦٦ من رحلته

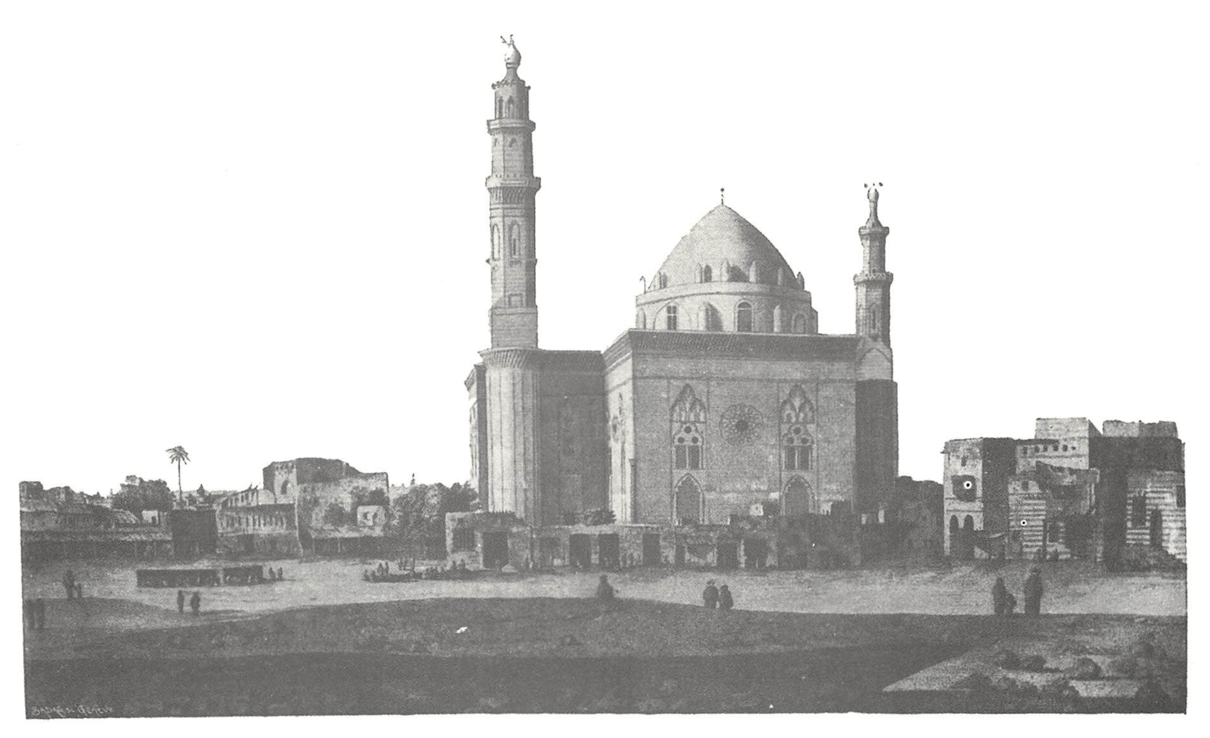
وتحت هذه القلعة ميدان فسيح يسمى بميدان الرميلة وبالقرب منه جامع السلطان حسن عرف ببانيه الذى هو أحد سلاطين المماليك وهذا الجامع متقن البناء عظيم الارتفاع وكله مبنى بحجر الآلة وهو الذى هرب فيه طومان باى آخر سلاطين المماليك

عنـــد ماتخلى عن القلعة للسلطان سليم ولما تملك سليم القلعة أمر باطلاق القنابل منها على الجـامع فعملت فيه ولا تزال آثارها بادية فى قبته المثقبة من جميع نواحيها(١) وقد جاء ذكر هذا الجامع أيضا فى كتاب التجريدة الفرنساوية(٢)

الكتاب الذى ألفه جماعة العلمـاء فى عهد التجريدة الفرنسـاوية

هـذا الكتاب الجم الفوائد الكبير الحجم لم يعقد فيه يالاسف باب كبير للآثار الاسلامية المصرية وغاية ما جاء فى الفصل الخاص منه بالمساجد (من صحيفة ٤٠٣ الى صحيفة ٤١٦ جزء ثالث) عن جامع السلطان حسن أنه جميل بل من أجمل مبانى القاهرة بل الدولة المصرية بأسرها وقد بالغ واضع هذا الفصـــل فى ضخامة قبته وارتفاع منارتيه وذكر الكتابات المنقوشة على جدرانه فقـال انها ملوّنة بألوان شتى(٣) وأشار الى المصابيح الجمة المعلقة فى عقود أواوينه وفى قبة التربة هـذا وقد تضمن الكتاب المذكور رسومات مأخوذة عن الجامع فى غاية الاهمية عليها تعليقات فى أسفل الصحف نعم ان هـــذه الرسومات ليست كلها سالمة من الخطأ كما أن بعضها غير ناطق بالدلالة ولكنها لقدمها فيها معنى من الاهمية ليس فى غيرها

ونخص بالذكر من بين تلك اللوحات ســبعة وهى الواردة فى الجزء الاول المصور فيها الجامع بحالته الراهنة وانا نعقب كل لوحة منها بمـا يعنّ لنا فيها من الملاحظات عند مضاهاة تلك اللوحات مع الحالة التى عليها الجامع اليوم



شـــكل ٨ رسم الجامع على الحالة التى كان عليها وقت احتلال الفرنسيس مصر منقولا عن اللوحة الثانية والثلاثين من كتاب التجريدة الفرنساوية

أولا ـــ اللوحة نمرة ٣٢ وهى منظور الجـامع من جهة القلعة . يرى فى الجهة اليسرى فى الرسم أقواس كبيرة من تحتها عمـارة وهذه الاقواس من سراى يشبك(٤) التى لم يزل بعض آثارها باقيا حتى اليوم وعلى اليمين عدة بيوت صغيرة شغل محلها الآن بجامع الرفاعى وأسفل جامع السلطان حســن يظهر فى الرسم أطلال باليــة وحوانيت صغيرة أما من حيث مطابقة الرسم للواقع ففى ذلك بعض الشك (قارن بينه و بين الشكل نمرة ٨ من هذا الكتاب)

---

(١) لايزال أثر تدميرها بالقنابل ظاهرا فى الجهة القبلية الشرقية للقبة ومنها قنبلة أصابت مايلى المأذنة الصغيرة ولكن لا تصح نسبتها الى الزمن الذى ذكره مسيو تڤنو اذ هى موجودة فى جزء جدده ابراهيم باشا فى الوجهة حين أصلحها (راجع صحيفتى ٦ و ٢٠)

(٢) هذا الكتاب عنوانه وصف مصر أى مجموع المشاهدات والابحاث التى أجريت بمصر مدة اغارة الفرنسيس عليها طبع باشارة نابوليون الاكبر فى المطبعة الملوكية بباريس

(٣) قد تحققت من صدق قوله عن الالوان بينما كنت أكتب هـذا الكتاب اذ وجدت جميع الكتابات المحفورة على الرخام ملوّنة وكذلك حروف الكتابة الدائرة على قبة الفسقية (راجع ما ننقله فيما يأتى عن بسكال كوست) ولم يبق بدون تلوين الا الكتابة الكوفية المنقوشة على جدران الايوان الكبير التى تركت على لون الجبس

(٤) يشبك بن مهدى أصله من المماليك مشتروات السلطان الظاهر جقمق ثم خدم فى دولة الملك الاشرف قايتباى فرقاه حتى صار صاحب الحل والعقد بالديار المصرية واجتمعت له عدة وظائف سنية منها الدوادارية الكبرى وأمرية سلاح والوزارة والاستادارية . أنشأ عمائر كثيرة مابين ربوع وحوانيت ودور جليلة وصهاريج وأسبلة وزوايا وأنشأ قبة بالمطرية وأخرى برأس الحسينية (هى المعروفة اليوم بقبة الفداوية) قتـل بمدينة الرها فى العشر الاخير من رمضان سنة ٨٨٥ هجرية فى مطاردته لسيف أمير آل فضل الذى خرج على السلطان فى نواحى حلب

وهـذه السراى هى المعروفة الآن باسم حوش بردق وهو تحريف أقبردى قريب السلطان قايتباى الذى قرره السلطان فى الدوادارية بعد قتل يشبك وأسكنه داره هذه وأعطاه جميع ما كان بها انتهى بتلخيص عن ابن اياس

ثانيا ـــ اللوحة نمرة ٣٣ وهذه تشمل ثلاث رسومات
(ا) رسم الجامع وليست تخلو تفصيلاته من الخطأ
(ب) الوجهة العمومية وهورسم بسيط لم يتحر واضعه فيه الدقة ومعظم خارجة الوجهة غير مبينة فى هـذا الرسم كأنها كانت سقطت قبل ذلك
(ج) القطـاع الطولى . القبة مصورة فى هـــذا الرسم كأنها مضعفة وقوس الايوان القبلى يظهر للرائى أنه أقل انفراجا عمـا هو فى الحقيقة وفى الرسم نافورة داخل الفسقية وهى غير موجودة الآن

ثالثا ـــ اللوحة نمرة ٣٤ وبها ثلاثة رسومات
(ا) منظور مسقط الوجهة القبلية الشرقية
(ب) قطـاع عرضى
(ج) تفصيلات مأخوذة عن الباب الكبير
وجميع هذه الرسومات غير معتبرة من حيث الصناعة فضلا عن مخالفتها للحقيقة

رابعا ـــ اللوحة نمرة ٣٥ وبها خمسة رسومات
(ا) قطاع عرضى (منظور الايوان الكبير) نرى فى هذا الرسم المصابيح الجمة معلقة فى حنايا عقود الايوان والكوابيل ممتدة على طول جدران الجامع
(ب) باب احدى المـــدارس
(ج) الباب بين الدهليز والصحن
(د) و (ه) قطاع الفســـقية ومنظورها . يرى فى هذا الرسم المـاء ينبثق من وسط الفسقية وعلى حافتها ميازيب يتدفق منهـا المـاء

خامسا ـــ اللوحة نمرة ٣٦ تفصيلات نقوش وزخارف أخذت بغير ترتيب وليس فيها كبير فائدة

سادسا ـــ اللوحة نمرة ٣٧ منظور باطن الزاوية القبلية . فى هذا الرسم يرى الناظر المصابيح معلقة فى الايوان القبلى

سابعا ـــ اللوحة نمرة ٣٨ منظور الوجهة الاصلية . من هذا الرسم يتخيل للانسان أن أسفل الجدار يرتكز مباشرة على الارض الصخـــرية

باســــكال كوست

وبعد ذلك بتسع سنين جاء باسكال كوست ووضع كتابه الذى سماه بالعمارة العربية أو آثار القاهرة وكان قد أفرده لذرع تلك الآثار ورسمها من ســنة ١٨١٨ الى ســنة ١٨٢٥ فخص جامع السلطـان حسن منه ست لوحات ان لم تكن على مايرام من الدقة والضبط الا أنها ربمـا كانت أدق وأضبط من الرسوم الواردة فى كتاب التجريدة الفرنساوية

وهـاك بيـان هـــذه الرســوم وملاحظاتنـا عليهـا

أولا ـــ اللوحة نمرة ٢١ رسم الجامع وقطاعه الطولى . ليست جميع أقسام هــذا الرسم مضبوطة ولم يميز واضعه الابنية القديمة من الابنية التى حدثت على توالى الزمن كما أن القطاع ليس كاملا

ثانيا ـــ اللوحة نمرة ٢٢ قطاع التربة

ثالثا ـــ اللوحة نمرة ٢٣ قطاع بعض دقائق من الكتابة المنقوشة على جدران الجامع وجزء من تلك الكتابة ورسم التنور الذى كان موجودا بالايوان(١)

رابعا ـــ اللوحة نمرة ٢٤ الباب الكبير . يرى المتأمل فى هذه اللوحة طراز عريض رسمه مكوّن من أحرف كبيرة وهو لم يثبت انه كان موجودا

خامسا ـــ اللوحة نمرة ٢٥ وهى عبارة عن منظور الزاوية القبلية الغربية من الداخل

سادسا ـــ اللوحة نمرة ٢٦ وهى عبارة عن منظور الجامع من الخارج ومنظور ميدان الرميلة ورسوم أخرى وهذه اللوحة غريبة فى بابها اذ يرى المتأمل فيها عقود سراى يشبك وجملة حوانيت صغيرة منحطة من حوانيت تلك العصور وهذه الجهة المرسومة تبدو للرائى على سذاجتها مبرأة من كل تقليد أجنبى ويرى الناظر عدا ذلك موكبا عمل لاحد باشاوات مصر وهو ركب من الخيالة على رؤسهم عمائم كبار مما يزيد فى بهاء المنظور ويلبسه الصبغة الشرقية المحضة الخالصة من التقليد الواقع اليوم

أما النصوص الواردة فى الكتاب نفسه فيستنتج منها أنه عند كتابته كانت القبة المعقودة على الفسقية لايزال ظاهرا عليها طلاؤها الازرق وكذا كتابتها المموهة بالذهب ويؤخذ منها أيضا أنه كان بأعلى خارجة أى كرنيش الجامع من الظاهر زخارف من الحجارة المنحوتة على هيئة زهرة الزنبق وهى الشرافات التى زال أثرها من الجدران الخارجة ولم يبق منها الا ما كان على الجدران المحدقة بالصحن

كتاب مارسيل

لم يقل هذا المؤلف عن جامع السلطان حسن فى كتابه (مصر من عهد الفتح الاسلامى الى حين استيلاء الفرنساويين عليها) شيأ غير كونه أفخر الجوامع ولكنه ذيله بعدّة لوحات منها أربعة مخصوصة بهذا الجامع وهى

اللوحة نمرة ٨ منظور الجهة القبلية الشرقية للجامع من الخارج
اللوحة نمرة ٩ منظور الوجهة الاصلية والمنارة الصغيرة
اللوحة نمرة ١٠ داخل الجامع وهو عبارة عن منظور الايوان الكبير
اللوحة نمرة ٢٤ التنور الكبير . هـــذه اللوحة يظهر لمن يتأمّلها جيدا أنها منقولة عن لوحة باسكال كوست وان كان فيها من التفصيلات ماليس فى الثانية

كتاب بريس دافين

لم يحو هذا الكتاب الذى عنونه صاحبه « الفنّ العربى مأخوذا عن آثار القاهرة منذ القرن السابع الى آخر القرن الثالث عشر » فى موضوع جامع السلطان حسن الا رسما واحدا وهو اللوحة نمرة ١١ التى مدلولها جامع السلطان حسن وبابه الكبير

ومن يتأمل هذه اللوحة يرى أسفل الكرنيش الكبير طرازا داخله كتابة منقوشة وهذا يدل على أن هذا الرسم منقول عن اللوحة نمرة ٢٤ الواردة فى كتاب باسكال كوست

ومع أن هذا الكتاب ليس به من الرسومات الا هذه اللوحة الا أنه يمكن أن يلتقط من النصوص الواردة فيه معلومات لها قيمة فقد جاء فيه فى صحيفة ١١٠ ما يأتى

فى منتصف شهر محرم سنة ١٠٧٠ سقطت منارة الجامع ليلا(٢) ولم يمت تحتها الا رجلان وفى السنة التى بعدها سقطت القبة أيضا وجدّد بناؤها على ماهى عليه الآن فى عهد ابراهيم باشا ولكن القبة الاصلية كانت أعظم ارتفاعا وباطنها كان غاصا بالنقوش العربية(٣)

---

(١) لم نعثر لهذا التنور على أترسوى الصينية التى تعلق أسفله وهى مودعة الآن بدار الآثار العربيـــة

(٢) المنارة التى فى الزاوية الشرقية

(٣) ان مسيو بريس دافن وان لم يعين الينابيع التى أخذ منها هذه المعلومات الا أنه يظهر من طرز عمارة المأذنة والقبة الحاليتين ما يؤيد روايتـه أعنى تجديد بنائهما فى القرن السابع عشر المسيحى وهذا ما يحدونا الى القول بأن النقوش التاريخيـة التى سبق لنا ايرادها تشير الى أعمال العمارة التى أجريت فى الجامع وقتئذ

أما البـاب ففى غاية الظرف ولكن باللاسف الترميمات التى أجريت فى عصر الدولة التركيـــة قد جرّدت الوجهة المطلة على ميدان الرميلة من انتظامها الذى كان له وقع فى النفوس عظيم . وقال فى صحيفة ١١١

المقصورة مزدانة بتنورين جميلين من النحاس وبها رفان متقابلان مثبت فيهـما عدد عظيم من المصابيح الزجاجية المدهونة بالميناء المموّهة بالذهب كلها متقنة الصنع ولكن أغلبها للاسف مكسور

وبعد أن قال فى موضع آخر ان باب التربة فى غاية الجمال وأنه من النحاس المكفت بالفضة والذهب وأنه لم يؤثر فيه مر الاحقاب قال ان هذه التربة بها جثة بانيها وقد مر بك فيما سبق أن السلطان حسن قد اختفى ولم يعثر له على أثر وبمناسبة مصراعى الباب الكبير قال هذه العبارة «وربمـا كان الباب الحالى غير الباب الذى عمل فى الاصل لهذا البناء الفخيم أما المصحف الكريم الذى كان مودعا فى التربة فنقل بأمر سعيد باشا الى جامع محمد على»(١)

كتاب بورجـــوان

قد كتب هذا المؤلف كتابين بين عهدى تأليفهما ١٩ سنة تضمنا معلومات مفيدة عن جامع السلطان حسن . أولهما عنوانه (الفنون العربية وطرز بنائهـا وأشغال النجارة والتكفيت وعمل الاسقف والتكسية والرخام والزخارف وشـبابيك الزجاج الملون ونحوذلك) . والثانى «المحكم فى الفن العربى ومقتطفات يبنى عليها تاريخ الفنون الشرقية الاسلامية ونظرياتها وعملياتها»

وقد خصص المؤلف فى الكتاب الاول لجامع السـلطان حسن خمس لوحات

اللوحة الاولى نمرة ٣١ شكل ٥ تكعيبة قرصة من الخشب عثرنا عليها فى علو الباب الموجود فى الدهليز الاول على اليمين

اللوحة الثانية نمرة ٤٢ سرّة من رخام وأحجارشتى هذه السرّة فى وسط حائط التربة المقابل لمحرابها

اللوحة الثالثة نمرة ٥٣ شكل ٣ عبارة عن بحرة من الفسيفساء تحيط بعتب بابين من أبواب المدارس

اللوحة الرابعة نمرة ٥٥ باطن صفة الدرقاعة المقابلة للداخل من الباب الكبير أشكال المشبكات مصوّرة فيها كأنها خالية من النقش البارز (راجع الرسم المضبوط الذى عمل عنها فى اللوحة ١٨ شكل ٥ من هذا الكتاب)

اللوحة الخامسة نمرة ٧٣ رسم باب جامع المؤيد شيخ يظهر من الرسم أن سطح الباب بأكمله مصفح بالنحاس وهـــذا يحمل على الظن بأن الباب كانت أجريت فيه ترميمـات من قبل على أن عملية الترميم لم تجر الا فى سنة ١٨٩١

أما من جهة تلوين اللوحات نمرة ٤٢ و٥٣ و ٥٥ فلم تزد فى قيمتها شيأ لان هذه العملية غير متقنة

والكتاب الثانى يشمل الرسومات الآتية

أولا ـــ فى الجزء الاول منـــه لوحتـان نمرة ٤٦ و ٤٧ عبـارة عن رسم احدى صـــفف البـاب الكبير مع رسومات أخرى تفصـيلية

ثانيا ـــ فى الجزء الثانى لوحة نمرة ٢٧ حشوة مربعة فى وسط الصفة الواردة فى اللوحة نمرة ٥٥ من الكتاب الاول

كتاب جوســـتاف ليبون

لم يرد فى كتاب هذا المؤلف الذى عنوانه «مدنية العرب» مايخص جامع السلطان حسن الا جملة موجزة ولوحتان

اللوحة الاولى نمرة ١٠٠ منظور الجامع من الجهة الجنوبية الشرقية . وهذا مأخوذ من كتاب ايبرس

اللوحة الثانية نمرة ١٠٢ وهى عبـارة عن الفسقية . وهذا الرسم له فائدة تاريخية لانه يصوّر الفسقية على الحالة التى كانت عليها قبل أن تحصل فيها الترميمـات (ولا حاجة للتنبيه على خطأ هذا المؤلف فى تسميتها بميضأة)

---

(١) المصحف الذى يذكره مسيو دافن غير موجود الآن بجامع القلعة وربما كان هو المحفوظ بدار الكتب الخديوية تحت اسم مصحف السلطان حسن ويساعد على هذا الفهم الزخارف العربية المحلاة بها صحفه وهى من زخارف القرون الوسطى حقيقة

كتاب فرنس باشا

قد كشف لنا سعادة فرنس باشا عن مبلغ هذا الاثر من الاهمية بعبارة وجيزة فى كتاب سماه (العمارة الاسلامية) وهو من الكتب التى تنشرها احدى الجمعيات الالمانية على العمارة

وخصص فى كتابه هذا لجامع السلطان حسن أربعة أشكال

الشكل نمرة ٨٣ منظور التربة والمأذنة الصغيرة من الخارج نقلا عن رسم فتوغرافى

الشكل نمرة ١٤٧ المأذنة الكبيرة القبلية

الشكل نمرة ١٥١ مسقط الجامع وهو أول رسم وضع مطابقا للحقيقة اللهم الا فيما عدا الجزء المشغول بالميضأة الذى لم يمكن أخذ رسمه بسبب الاتربة التى كانت به

الشكل نمرة ١٥٤ رسم الفسقية مستعار من كتاب المسيو ليبون

كتاب استانلى لين بول

ورد فى كتاب هذا المؤلف الذى عنوانه « الفن العربى بمصر » أربع رسومات خاصة بالجامع

الشكل نمرة ٧ مسقط الجامع وهو غير تام

الشكل نمرة ٨ قطعة من البحرة الكبيرة المحلاة بها وجهة الباب الكبير

الشكل نمرة ٩ قطعة من الكتابة الكوفية المنقوشة فى الايوان الكبير

الشكل نمرة ١٠ سرّة فى باطن الصفة المقابلة للداخل من الباب الكبير

وقد خصص المؤلف فى تأليفه هذا بعض صحف ملأها بملاحظات نفيسة على الجامع غير أنه وهم فسمى الفسقية باسم ميضأة كما أنه وهم فقال ان الدوائر الموجودة على جانبى المنبر مطعمة بالرخام الملوّن والحقيقة أنها مرسومة رسما بسيطا بالدهان الملوّن

كتاب المسيو جاييه

وقد ورد أيضا فى كتاب المسيو جاييه المسمى بالفن العربى ثلاث لوحات بخصوص الجامع

أما اللوحة الاولى شكل نمرة ٣٢ وهى عبارة عن مسقط الجامع فرسمها ناقص وغير مضبوط ويظهر أنها نقلت عن رسم باسكال كوست

اللوحة الثانية شكل نمرة ٣٣ منظور صحن الجامع

اللوحة الثالثة شكل نمرة ٣٥ قطعة من الطراز الشامل للكتابة الكوفية بالايوان الكبير

هذا ويلاحظ على كتاب المسيو جاييه ثلاث أغلاط فى الرسومات نمرة ٣٤ و ٧٣ و ١٤٣ التى يوردها المؤلف المذكور كأنها صور قطع من جوانب المسجد ولكنه قد وقع فى الخلط لانه رغما عن الابحاث الدقيقة التى أجريناها لم نعثر على قطعة الفسيفسا المرموز لها فى الرسم بنمرة ٧٣ ولا على الكتابة الكوفية الموجودة فى الشكل نمرة ١٤٣

أما الشكل ٣٤ فهو عبارة عن جزء من وجهة تكية السلطان محمود الواقعة فى حارة الحبانية وهذه بنيت فى أواسط القرن الثامن عشر ومن جهة أخرى فقد نسب المؤلف المذكور فى صحيفة ١٢١ من كتابه بناء هذا الجامع الى بناء قبطى مستندا على أنه رأى على العضادة اليمنى من الباب رسم باب كنيسة قبطية وصليب وحمامة قابضة على غصن من الزيتون وانا نرد على المسيو جاييه بأن الباب هو من طرز العمارة القوطى وان العضادة ليس عليها آثار صليب ولا حمامة وان أردت زيادة التفصيل فعليك بالرسالة التى وضعناها فى نقد هذا الكتاب

الباب الثالث
فى ملاحظات انتقادية

ماوقع فى الجامع مغايرا لاصول الطرز العربى ـــ بحث فى تعرف أصل البانى للجامع

قد وصلنا بالقارئ بما شرحنا من وصف الجامع تفصيلا ونوهنا بفائدته التاريخية الى التسليم بمكانة هذا الاثر العظيم ونود لو أن القارئ يتتبعنا فى أبحاث أدق من الاولى فى أوجه الفائدة المنوّه عنها

من الجدير بالملاحظة أن الغريب فى بابه من جامع السلطان حسن ليست هى أبعاده الهائلة التى قد لا يعبأ بها بل الحرى بذلك انما هو بعض دقائقه التى تغاير بالمرة نظيراتها من آثار تلك العصور . ولاجل أن نوفى هذا الباب حقه من البحث يجب علينا أن نبين هنا تلك المغايرات سيما وأنه ليس لدينا غيرها مرشدا يهدينا لمعرفة من تصح نسبة بناء الجامع اليه وما أضعفه من مرشد فى بحث غير منتج

وتلخيص ذلك أن من يتأمل وسم الجامع يتبين أمرين غريبين هما

أولا ـــ انه كان من المقرر فى أصل التصميم تشييد أربع منارات لكن الذى بنى منها ثلاث فقط (١)

ثانيا ـــ وضع التربة

واليك التفصيل

من المعلوم أن جميع المساجد التى تشتمل على ترب تكون فيها تلك الترب تحت قباب تعقد عليها وسواء اشتملت تلك المساجد على قبة أو عدة قباب فانها تكون على كل حال واقعة فى احدى زوايا المسجد بخلاف ماعليه جامع السلطان حسن فان القبة فيه واقعة فى منتصف الوجهة خارجة عن خطها محدثة لبروز يكاد يعتبر أثرا من ملحقات الجامع ولهذا الشكل حتى اليوم وقع حسن ولا شك أنه كان فيما سبق أوقع فى النفس حينما كانت المأذنة الثانية باقية على ارتفاعها الاصلى والقبة حافظة لضخامتها وهندامها

وهنا يجدر بنا القول بانه لو أعيد بناء هذه القبة على ماوصفها الكاتب بيترو دلا فاليه لحكت فى القالب تلك القباب التى تأخذ فى السعة من بعد المنطقة الاسطوانية بسبب استعمال طبقات المقرنصات كما هو الحال فى قبة جامع صرغتمش وغيره (١٣٥٦ ـــ ١٣٥٧)

على أن هذين الامرين الغريبين ليسا أهم ما يذكر اذ يمكن نسبتهما الى ذوق المهندس وهواه وانما أغرب الامور محلها الدقائق الهندسية الحقيقية التى لم تصدر عن هوى من المهندس بل كأنها مظهر لطرز عمارة خصوصية جاء عفوا ناطقا بتغلب طرز أجنبى عليه

فمما يذكر منها فى المحل الاول وجود قواعد وكرانيش للحيطان . أما القاعدة فشئ غير مألوف اتخاذه فى المبانى العربية اذ العادة أن يكون الحائط منبثقا من الارض على الاستقامة خالصا لا انتفاخ فيه (٢) بخلاف الكرنيش فانه من الطرز العربى ولكنه يكون عادة من زخرفة خفيفة البروز من الجبس ونحوه اذ نرى فى بعض المبانى السابقة فى العهد على جامع السلطان حسن مدماكا من المقرنصات الغرض منه زيادة بروز الكرنيش ولكن لم يشاهد فى أى بناء غيره كرانيش تصل الى هذا الحد من البروز أى الى ١ متر و ٤٠ سنتيا حيث يبلغ عدد مداميك المقرنصات فيها الى الستة وهى متوجة بالزخارف الجبسية المأثورة

ومنها أيضا الجفوت المتداخلة بعضها فى بعض التى تحيط من الخارج بالشبابيك المستديرة للتربة وهو شكل ليس له نظير فى الطرز العربى الا فى باب المارستان الذى بناه السلطان قلاوون جدّ السلطان حسن

---

(١) لبيان الموقع الذى كان مدخرا لبناء المنارة الرابعة نقول ذكر المقريزى أن المنارة الثالثة بنيت فوق باب الجامع وسقطت على الكتاب علو السبيل ومن هنا يستنتج أنها كانت فى الزاوية البحرية حيث يشاهد حتى اليوم فوق السطح من هذه الجهة آثار بناء ربما كان هو قاعدتها وعليه يكون الموقع الذى كان اختير لاقامة المأذنة الرابعة هو علو كتف البوابة الايسر مالم تكن هنالك بواعث على اقامتها خلافا لقواعد الذوق السليم وبالمغايرة الكلية لنظائرها فان هذا الموقع انما هو الذى يمكن أن تقام فيه المأذنة بالتماثل للأذنة الثالثة وفضلا عن ذلك فان رسم الجامع لا يظهر فيه موقع آخر يمكن أن يكون قاعدة لمنارة

(٢) الوزرات التى من الرخام المستعملة فى كسوة الاسفال انما تتخذ داخل المبانى من مساجد ودور على أنها لا تظهر بارزة الا لكونها كسوة ولم يرد البانى من تركيبها بروزا لان الطرز العربى لا يقبل البروز فى قواعد الحيطان

ومنها بل وأهمها البوّابة الكبيرة وهى ابتداع جليل فيه يتجلى حذق المهندس اذ يرى على سطحها نقوش ورسومات وأشكال لايمكن العثور على مثلها فى أى أثر مصرى آخر كالحنيتين المحليتين جانبى فتحة الباب والعمد المثبتة فيهما كبيرة وصغيرة المحكمة التى توارى زواياه والمشبكات والزخارف الجميلة الوصف فى جوانبه كل ذلك انما وضع للدلالة على أن المهندس كان يقصد الابداع فى الزخرفة

وهناك أمر آخر يستوجب الدهشة فى هذه الزخرفة وفى أغلب الزخارف التى يتحلى بها الجامع وهو كونها نباتية صريحة وبهذه المناسبة ينبغى التنبيه على أن الزخارف النباتية قلما حاول المهندسون الاتيان بها فى الآثار السابقة فى العهد على جامع السلطان حسن اذ لا يوجد منها الانموذجات ضعيفة فى نقوش السقوف ليس الشكل النباتى فيها واضحا وضوحا تامّا بخلاف جامع السلطان حسن فان فى نقوشه المختلفة سواء على الرخام أو الحجر ترى أشكال الازهار وأوراق الشجر مرسومة رسما جليا وهذه الرسومات المتنوعة المتخذة فى المادة الصلبة الحجرية وان أجريت على حسب أصول التصوير الشرقى الذى يأبى وجود الظل وتجسيم الصور لكن لايزال يرى فيها رغما عن حسن السبك أثر محاولة قلب المجسمات الى زخارف بارزة غير ظاهر بروزها بل يغلب عليها الاستواء . ومن هذه الاشكال شكل لا يظهر الا للمتأمل يتبين منه أن المظهر المتقدم ذكره (مظهر الاشكال النباتية) الذى هو من المحدثات فى العمائر الاسلامية لم يكن بالصدفة والاتفاق كما أنه يثبت أن عدم التجسيم فى النقوش المذكورة لم يكن لعجز من المصوّر بل جاء منه مراعاة لاصول الطرز العربى . أما الشكل الذى نشير اليه فهو نقش بارز على أحد وجوه الدعامة(١) المقامة فى الكتف الايسر للبوّابة الكبيرة وهو صورة ورقة من ورق النبات المعروف بشوكة اليهودى منها ينبثق ساق يلتف رأسيا على هيئة أغصان ملتوية وتتفرع منه أوراق وثمار يسهل على الانسان أن يعرف من بينها ثمر الخشخاش وأكمام وثمرات عنبية وعلى الوجه الآخر المكشوف من هذه الدعامة شكل آخر هو عبارة عن عدة سرر متجاورة لا يقل عن الاول فى الاهمية من حيث وضوح رسوماته النباتية وان خالفه فى الوضع وهناك قطاعات مأخوذة من الطرز اليونانى القديم وأخرى كالاوراق المزين بها محراب التربة مصنوعة على الطرز البيزنطى (الرومى) كل هذه الدقائق وغيرها لو أضفناها الى الشذوذ التى سبقت الاشارة اليها يحملنا على القول بان المهندس الذى بنى جامع السلطان حسن أجنبى عن هذه الديار . على أن من توسع فى الامعان والتدقيق يكتشف للمهندس زلات تغاير بعض الاصول الاساسية لفن العمارة العربية مثال ذلك بعض مقرنصات البوابة الكبيرة اذ أن هذه المقرنصات (وهى من أهم أجزاء العمارة الاسلامية) لها استعمال معين بمعنى أنها تكون بمنزلة الحرمدانات فلا تستعمل الا لحمل الاثقال ليس الا . أما فى جامع السلطان حسن فلا يرى فوق مداميك المقرنصات الاربعة المتوجة للحنيتين الا افريزا ضيقا يفصله عن الحائط العلوى جفت منحوت نحتا غائرا بحيث ترى المقرنصات منعزلة عن كتلة البناء دون أدنى اتصال بها وكان اللازم أن تكون كتلة البناء محمولة عليها

ومما ينتقد على المهندس فى هذا الجامع وجود بعض مقرنصات اتخذت لتحلية قواعد الاعمدة مقلوبة الوضع وذلك مغاير للغرض المقصود عقلا من اتخاذ المقرنصات(٢)

ومن ثم يستنتج أن المهندس أجنبى عن هذه البلاد ولكن أنى لنا العلم ببلده وهو لم يترك لنا اسما ولا أثرا وبذلك جعلنا جميعا متشوّفين لمعرفته

ولم يذكر أحد من المؤرخين حتى ولا المقريزى الذى يكثر الكلام على الآثار اسم هذا المهندس كما أنا لم نعثر على شئ يتضمنه فى الكتابات الكثيرة المنقوشة على جدران الجامع (٣) ولذلك تضطرنا الحال الى معاودة البحث فى عمله عن أثر يدلنا عليه أو اشارة تهدينا اليه بالتأمل فى كيفية تصميم دقائق البناء وكيفية توقيعها وللوصول لهذه الغاية جعلنا الدعامة الصغرى المركبة على أحد وجوه كتف الباب محل نظرنا فدلتنا على أن المهندس لعدم استطاعته تدوين اسمه فى عمله اكتفى بعود الفخر على وطنه فأشار اليه اشارة لبيب

---

(١) لما كانت هذه الدعامة موضوعة فى زاوية لذلك لا يظهر من جهاتها الا جهتان اثنتان إلا انه يتسنى للانسان أن يعرف من خلالها أن رسم ما خفى من الجهات من نوع رسم الجهات الظاهرة

(٢) ليس للمقرنصات المتخذة لتتويج الاطار العريض المحيط بدائر قوس البوابة محل ولذلك يستغرب من وجوده

(٣) يحق لنا أن نتساءل عن السبب فى انه لم يبلغنا من أسماء أرباب فن العمارة من الشرقيين الا القليل هل سبب ذلك غيرة أمرائهم أو ضعة قدر المهندسين أما الفرض الاول فيحسن السكوت عليه ولكن الثانى لا مسوغ له اذ أن بناء الآثار من أحسن الوسائل لاكتساب رضاء الناس بقى معنا فرض ثالث ربما صادف الحقيقة هو عدم الرغبة فى كتابة اسم غير المسلم على جدران المساجد يساعد عليه أن الاسماء التى وصلت الينا كلها لجماعة من المسلمين وعلى كل حال فان طائفة المهندسين دون سواها هى التى نجهلها أكثر من غيرها بخلاف أرباب الصنائع الاخرى فقد حفظ لنا التاريخ أسماءهم لانهم كتبوها على ما صنعوه من ذلك الكتابة المنقوشة على أكتاف باب سراى يشبك اذ يقرأ فى الجهة اليمنى منها (عمل محمد بن أحمد) وفى اليسرى (ابن الشامى) كذلك كتب صانع الرخام الذى ركب الوزرات الجميلة فى جدران جامع أبى بكر مظهر (١٤٨٠) هذه الكلمات (عمل عبد القادر النقاش) كتب ذلك على رخام الايوان الكبير وكتب أيضا اسمه على وزرة بجامع قجماس الاسحاقى سنة ١٤٨١ ويوجد بدار الآثار العربية تحف عليها أسماء صانعيها

فى ركن صغير وهى اشارة تخفى على العامة ولكنها كافيــة لان يهتدى بها من كان من العلماء بسر الاحجار وذلك ان هذه الدعامة ترى عليها ستة سطوح فوق بعضها متعاقبة بين صغير وكبير وكلها محلاة برسوم بارزة . أما الكبار فرسومها متشابهة أوتكاد تكون كذلك فان فى جميعها أقواسا ستينية مرتكزة على زوج من العمد الصغيرة وهذه الاقواس وان لم يكن فيها مايستوقف النظر خلاف كون الرسومات الزهرية النباتية التى فى السطح الباطن جلية البيـان فان العمد تسترعى النظر بأبدانها المهندمة الدالة على انهـا من طرز قديم عن الطرز العربى . أما الرسومات المنقوشة فى السطوح الصغيرة فاغرب من ذلك اذ قد مثل فى الاسفل منها بيت صغير ذو طبقتين سطحه على شكل جملون وبجانبه بناآن أعلا منه ومن الباطن بناء آخرله باب وعدة نوافذ وفى السطح الذى يليه كنيسة وطبقة أرضية عالية لها باب ينتهى عاليه بشكل جملون وعليها طبقة أخرى أقل منها فى الاهمية ومتخذة قاعدة لقبة يزيد حجمها عن نصف كرة وهى ترتكز على قاعدة مخروطية (١)

نعم ان هذه التفصيلات تافهة وماكان الانسان ليعبأ بها لوكانت فى أثر من الآثار الافرنجية ولكن حيث ان الاثر شرقى فقد كان لهذه السفاسف مكان من الاهمية ووجب أن يبحث فيها اذ هى أول مايتجلى فيه فكر المهنـــدس المخطط للمسجد لانه انما وضع هذه الدقائق فى الرسم على رأينا ليكشف بها عن جنسيته رغمـا عن نهى صاحب الجامع أو منع العادة عن ذلك وبهذه الاشارة نقنع

وحيث قد وفينا الآن هذا الاثر حقه من البحث وعنينا بجمع الاسانيد التى تفصح عن تاريخه لم يبق علينا الا البحث عن موطن المهندس البانى له ولو أن شخصه سيبقى لامحالة مجهولا لنا الى الابد . فاذا أشرب القارئ فكرنا فى هذا الموضوع فكأنه مال الى التوسع فى الحكاية الظريفة التى تحكى عن بناء الجامع وهى حكاية شاقت فكرنا فى أول الامر حكاية الاســير الفرنجى الذى ساعدته المقادير على أستخدام معارفه فى استرضاء هذا السلطان العظيم الشأن أو أحد مشاهير المهندسين الاوروبيين الذى بلغ صيته مسامع هذا السلطـان فاستدعاه وناط به بناء أثر رغب فى أن يفوق أجل الآثار

هذه هى الحكاية ولكن هل ينبغى أن نصدقها ونتكلف البحث فى تلك الاصقاع النائية عن البـانى حاشا وكلا فان بمدينة بيزنطيـة التى لم تخرج عن حدود الاقطار الشرقية آثارلنقوش نباتية يصح معها أن ينسب تعليم ناقش الزخارف النباتية والرسوم العنبية المختلفة الاشكال المتحلى بها الجامع الى هذه المدينة بل ان شكل الكنيسة التى سبقت الاشارة اليها هو من طرز كنائس بيزنطية . ومن هنا استنتج أن البانى للجامع نصرانى من نصارى هذه المدينة

على أنى أصرح أن هذا الاســتنتاج قد يكون قريبـا من الواقع ولكنه غير قاطع فان الجامع مع شذوذ بعض دقائقه ومغايرتها للطرز العربى مبنى على الطرز الاسلامى فلا يمكن أن يقال بأنه من عمل نصرانى جاهل باصول هــذا الطرز بل لابدّ وأن يكون الطرز الاسلامى هو أول ماعنى البانى بتعلمه وليس بالنسبة له شيأ عارضيا وليت شعرى أين أحرز هذا النصرانى هذه المعلومات

لا يخفى أن دولة آل سلجوق الاسلامية التى هى بمنزلة البشير لدولة الترك ببلاد آسـيا الصغرى قد قامت بجوار دولة بيزنطية فى بلاد تكثر بهـا الاطلال والآثار القديمة وكانت شديدة الارتباط بجارتها وكانت أيام مدنيتها على قصرها زاهية زاهرة (من القرن الثـانى عشر الى القرن الرابع عشر) ويتبين من بقايا هذه الآثار أنه كان لهـا طرز عمارة اسلامى خاص بها كما تشهد بذلك الرسومات الواردة فى كتاب مسيو سار(٢) فانها تمثل عدة مبان سلجوقية يسهل بواسطتها الوقوف على أوجه الارتباط والمشابهة الشــديدة بينها وبين جامع السلطان حسن وتنحصر أوجه المشابهة فى الدقائق التى قضينا منها العجب فى هذا الجامع

ولنقتصر من هذه الاوجه على الباب الكبير الذى ظهر لنا أن زخارفه الكثيرة لانظير لها فى الديار المصرية . هذا الباب أمثاله كثيرة الوجود فى آثار آل سلجوق التى تمتاز الابواب فيها عن باقى البناء بكثرة زخارفها مثال ذلك اللوحة السابعة من كتاب مسيو سـار وهى تمثل أبواب آق خان من مدرسة سرجلى بمدينة قونيه (لوحة ٢٢) وباب أرزغ جامع فى المدينة عينها (لوحة ٢٦) وغير ذلك ويؤيد هذا القول اللوحة الثانية والثلاثين من الكتاب المذكور وهى تمثل احدى زوايا بوّابة السلطان خان اذ يرى المتأمل فى كل هذه اللوحات سعى البانى لاصولها ومحاولته فى اخفاء زواياها باستعمال العمد واتخاذه الاطارات العريضة التى نستغرب من وجودها فى جامع السلطان حسن كما أن فتحات الابواب فى هذه لاتخلو أبدا كما فى جامعنا من الحنايا ذات العمدان بل أن فى المثال الاخير فى الذكر ترى فيه الحنية مصنوعة

---

(١) هــذه الدعامة مصورة فى الشكل الثالث من اللوحة التاسعة عشرة وجهتاها الانسية والوحشــية مزخرفتان برسم مشبك أما الجهة المقابلة للحائط فقريبة منه كثيرا بحيث لايمكن معرفة نوع زخرفتها ومن تأمل الجهات الاربع المحفورة من هذه الدعامة ونظيرتها يتخيل له أنهما اتخذتا فى الاصــل لغرض آخر بل ربمـا دار فى خلد الانسان أن هاتين القطعتــين جلبتا من الخارج الى الديار المصرية ولم يحل دون هــذه الفكرة الارتباط الشــديد بين النقوش المحفورة على هيئة الزهور التى تشاهد فى بناء الجامع و بين نقوش الدعامة اليسرى

(٢) راجع سياحة مسيو فريدرك سار ببلاد آسيا الصغرى فى صيف سنة ١٨٩٥ الدائرة على أبحاثه عن فنون دولة بنى سلجوق وتخطيط بلادهم طبع برلين سنة ١٨٩٦

بنفس الطريقة التى صنعت بها حنايا جامع السلطان حسن وترى فيه المقرنصات المستعملة فى غير ما وضعت له . ومن أبواب الجوامع التى تكثر المشابهة بينها وبين جامع السلطان حسن باب جامع الروم الاشرف المبين فى اللوحة الحادية والخمسين فانه محاط بإطار كبير من الزخارف العربية شبيه فى الوضع بإطار جامع السلطان حسن ورسمه يكاد يكون عين رسمه . ومن ثم يظهر أن المهندس البيزنطى البانى لجامع السلطان حسن انما تلقى أصول الطرز الاسلامى فى أحد بلاد الدولة السلجوقية مما مكنه من تصميم بناء فائق فى بابه مثل جامع السلطان حسن وهو رأى يؤيده ما كان من الروابط والعلاقات المستمرة بين دولة بيزنطية وملوك بنى سلجوق وما يوجد من أوجه المشابهات الكثيرة التى أشرنا الى وجودها بين الاجزاء المتناظرة من جامع السلطان حسن ومبانى الدولة السلجوقية (١)

---

(١) من تأمل فى العقود الغوطية وضم البهاصورة الكنيسة توهم أنه ليس ببلد من بلدان الشرق ولكن وجود الأمثلة الجمة للطرز الغوطى فى بعض بلاد الشرق من عهد الحروب الصليبية يؤيد فكرة قدم سريان هذا الطرز من الغرب الى الشرق على أن مدينة القاهرة بها قطعة بناء من الطرز الغوطى فى باب جامع السلطان محمد الناصر أبى السلطان حسن أخذت من كنيسة عكا حين استولى المسلمون على هذه المدينة أتى بها من أسلاب الحرب

الباب الرابع

فيما عملته لجنة حفظ الآثار العربية بالجامع فى حالته الراهنة

وفيه فصلان

الفصل الاول

لجنة حفظ الآثار العربية وجامع السلطان حسن

لست أنكر أن ماعملته اللجنة حتى اليوم بشأن جامع السلطان حسن يكاد لايذكر ولكن ينبغى الاقرار بان الاعمال الضرورية لهذا الجامع تستدعى نفقات باهظة وزمنا طويلا سيما وأن المبالغ التى توفرت لدى اللجنة حتى اليوم انفقت جميعها على آثار أخرى كانت حالتها تستلزم التعجيل بترميمها وغاية ماعملته اللجنة أن وضعت تقريرا فى ٧ دسمبر سنة ١٨٩٣ وهو التقرير نمرة ١٥٨ الذى خصصته للجامع وقصرته على بيان تاريخه وترجمة حياة بانيه . بعد ذلك فكرت أنه قد آن لها أن تشتغل بهذا الاثر الجليل فعرض عليها القومسيون الهندسى فى جلسة ١٥ مايو سنة ١٨٩٤ تقريرا وافيا عن الاعمال المقتضى اجراؤها فيه ولما كانت اللجنة قد علمت فى احدى جلساتها بان بعض مهندسى الفرنج واسمه سلسمان عمل تقريرا خاصا بترميم الجامع فى عصر اسماعيل باشا وان هذا التقرير الذى كثر كلام الناس بشأنه لم يهتد أحد لمحل وجوده وبلغها بعدها أن هذا التقرير ربما يوجد فى محفوظات نظارة خارجية باريس فلاجل أن تقف على جلية الامر خاطبت فى ذلك جناب المسيو كوجوردان الوكيل السياسى لدولة فرنسا بمصر الذى يهمه كل مايمس بالفنون فتقبل رجاءها بكل لطف وايناس وكتب يستعلم من باريس فجاءه الجواب فى ١٠ يناير سنة ١٨٩٥ بامضاء المسيو موس مهندس نظارة الخارجية وهذا نصه

ان المسيو سلسمان الذى خاطبتمونى فى شأنه كان من أصدقائى وكنت عهدت اليه بزخرفة قبة كنيسة المدفن المقدس وبعد أن أتم هذا العمل ذهب الى القاهرة وفيها وعد بان يعهد اليه بترميم جامع السلطان حسن عند ذلك طلب منى أن أقاسمه هذا العمل مناصفة وأن يكون من نصيبى الاشتغال بأعمال الابنية المحضة ولكن قبل أن أشتغل بهذا العمل الذى كنت أظن أنه يستغرق منى زمنا طويلا أحببت أن أنتظر الى أن يخرج المشروع من طور الوعد الى طور التنفيذ أما المعلم سلسمان فكانت أماليه كبيرة . وبعد ذلك جاءت الحرب فعاد سلسمان الى باريس وماتت امرأته أثناء الحصار ثم عاد الى القاهرة وكان مريضا جدا فنقل الى باريس ومات بعد امرأته بسنة ولست أعلم بوجود تصميم لترميم جامع السلطان حسن من عمل سلسمان بل أشك فى كونه قد عمل رسومات هذا البناء الجسيم اذ أنه انما دعانى للاشتراك معه لوضع هذه الرسومات اهـ

قال مؤلفه وقد أتينا على نص هذا الجواب حتى نزيل من الاذهان ماعساه يكون قد علق بها من هذه الرواية التى نعدها من قبيل الخرافات

الفصل الثانى

الحالة التى عليها الجامع الآن

ظهر جليا مما قلناه فى الابواب السابقة التى تتبعنا فيها تاريخ هذا الاثر خطوة فخطوة أن هذا الجامع لم يكن محلا للعناية التى يستحقها حتى فى الزمن السابق على زمن اللجنة وانه لم يتعهد بالاصلاح الا فى النادر القليل بمعنى أن المشرفين عليه لم يفكروا فى ترميم شئ منه الا بعد وقوع ملمة من الملمات الجسام كسقوط قبة أو تهدم مأذنة على أن أعمال الترميمات التى أجريت به انما كان اجراؤها بغير اتقان ولا هندام مثال ذلك القبة والمأذنة الجديدتان اللتان سبق الكلام عليهما فانهما لا يضارعان القبة والمنارة الاصليتين ومن ثم لاغرابة فى أن يد الدهر قد لعبت بهذا الاثر الى أن صيرته اليوم على ماهو عليه من الدمار والدثور . واليك تفصيل ذلك

جدران الجامع — قد أثر كر الدهور ومر العصور على جدران الجامع تأثيرا يذكر خصوصا على الجدران الداخلة للمدارس التى تداعت للسقوط فانها مبنية بحجارة اسفنجية هشة للغاية أخذت من جبل المقطم أما الطبقات العليا التى كانت مبنية على ما يحيط بالميضأة وكذلك الغرف المطلة على الدهليز فقد زال أثرها بالمرة (راجع اللوحة الثانية شكل ١٦) على ان الميضأة ومرافقها كانت مستعملة منذ قرون مستودعا للقاذورات وقد رفعت منها اللجنة أنقاضا وأتربة على عمق عشرة أمتار ولكنها لم تجردها عنها تماما وهذه الميضأة هجرت منذ دخول الاتراك مصر واستعيض عنها بالحنفية الموضوعة داخل الصحن الكبير

السكرنيش — كذلك الكرنيش الكبير المتوّجة به جدران الجامع الظاهرة وهو أكبر كرنيش عمل بجامع لعبت به يد الدهر بحيث لم يبق منه الا ما كان بالوجهة البحرية الشرقية والقبلية الشرقية أما ما كان منه بالجهة الجنوبية الغربية فقد اضطررنا الى هدمه منذ ١٠ سنوات تقريبا

الشرافات — أما الشرافات التى كانت على كرنيش وجهات المسجد فقد سقطت جميعها ولم يبق الا ما كان على حيطان الصحن

المأذنة الكبيرة — هذه المأذنة مائلة نحو الغرب ولكن دلت الابحاث التى أجريت فى نوفمبر سنة ١٨٩٥ أنها ثابتة الموازنة وقد أعيد بحث ميلها فى غضون هذه السنة فظهر أنه لا يخشى عليها فى المستقبل القريب ومما ينبغى التنبيه عليه أن الجزء العلوى منها رم ولكن بغير اتقان

المأذنة الشرقية — يظهر أن سقوط المأذنة الاصلية أوجب خللا فى القاعدة التى بنيت عليها فاضطروا عند اعادة بناء هذه القاعدة أن يجعلوا عرضها ٩ أمتار من الوجهة البحرية الشرقية وأربعة أمتار ونصف من الوجهة القبلية الشرقية أما المنارة نفسها فلم يكن شكلها بالظريف اذ أنه لا تناسب بينها وبين ارتفاع قاعدتها الجسيم

القبة — وكذلك ليس بين القبة الحالية وبين القباب القديمة الظريفة الشكل الجميلة القد أدنى مشابهة اذ ينقصها الحزام الذى تمتاز به هذه القباب وعلى ما هى عليه الآن تقرب فى الشكل من القباب التى بنيت فى عهد الدولة التركية فهى من قبيل قبة جامع سنان باشا ببولاق (١٥٧١) وقبة جامع محمد بك أبو الذهب (١٧٧٣ — ١٧٧٥) وكلتاهما محاطتان بدعامات اسطوانية الشكل

بياض الجامع — ان طبقة البياض فى هذا الجامع تشغل سطحا كبيرا سيما وان الحجر المنقور يدخل بكمية كبيرة فى بناء الجامع من الداخل ولكن هذا البياض آخذ فى التساقط من جميع الجدران وانه وان أعيد طلاؤها غير مرة على ارتفاع قامة ولكن لم يرم ما فوق ذلك وسببه ارتفاع الجدران بدرجة يحجم معها كل من هم ببياضها ولذلك تشاهد عارية عن الطلاء فى عدة مواقع منها

رخام الجامع — أما رخام الجامع فلصلابته كان تأثير الزمن فيه أقل ولكن بهجة رونقه قد ذهبت بتراكم طبقات التراب عليه وقد ورد فى المقريزى أن الرخام قد ركبه بعد موت السلطان حسن أحد أمرائه ويغلب على ظنى أن هذا المؤرخ انما يعنى بذلك الرخام المركب فى جوانب الجدران فان رخام الارضية الذى أصبح اليوم متكسرا ليس من عهد بناء الجامع على يد السلطان حسن كذلك بلاط ارضية التربة ليس فيه شئ من الصناعة بل لا نسبة بينه وبين الرخام الملصق بجدرانها الذى تكثر فيه النقوش والزخارف ومن ثم تراه على طرفى نقيض لو قارنته بسائر زخارف الجامع أما بلاط الصحن فلا مراء فى أنه وضع شيأ فشيأ على مقتضى الحاجة بدون مراعاة مجموعه ومن تأمل فى وضع الجزء المحدق منه بالميضأة يرى انه انما وضع بمناسبة وضعها وحيث كانت هذه الحنفية غير قديمة العهد فلا شك ان هذا الرخام ليس من زمن بناء الجامع اذ أنهم فى ذلك الوقت ما كانوا يبلطوا الصحن المكشوف بقطع من دقيق الفسيفساء

النجارة الدقية والنجارة العادية — لم يبق من آثار النجارة الدقية بالجامع الا بقايا الدلايات الموجودة بالقبة وشغلها ليس بالدقيق وهذه الدلايات مكشوفة فى جملة جهات لسقوط قندلياتها أما الابواب ففى حالة من البلاء شديدة ومما يؤسف عليه ضياع صفائح النحاس التى كانت مركبة على أبواب الصحن ولكن لما كان محل هذه الصفائح والمسامير لا يزال ظاهرا فيسهل اعادة تركيبها اذ ليس

على النجار الا تتبع سيرها هذا والشئ الوحيد الباقى حقيقة من زمن مؤسس الجامع هو كرسى قراءة سورة الكهف الذى عثر عليه تحت الاتربة ولذلك تراه فى درجة من التلف عظيمة وهو كرسى لطيف كبير الحجم متناسب الابعاد

الاشياء التى من النحاس — لم يبق بالجامع من صناعة النحاس (التكفيت) بخلاف التنانير ومصراعى الباب الكبير التى سبق الكلام عنها الا ما كان من ذلك فى باب التربة وبابى الايوان الكبير وباب المنبر وبعض قطع من الشبابيك أما الابواب فحاجتها الى الترميم شديدة وخصوصا باب التربة فان جزءه السفلى قد أثر فيه الزمن أما صفائحه من الباطن فقد ضاعت وكذلك الحال فى صفائح مصاريع دواليب التربة

النقوش والرسومات — الزخارف المنقوشة بالجامع سواء كان نقشها على الحجر أو الرخام أو الخشب لاتزال حافظة لشكلها الاول أما المموّه والملوّن من هذه النقوش وهو كثير فى الجامع فقد أثرت عليه الايام ولكن بغسلها تمكننا من كشف آثارها تكفى لاعادة البعض منها الى ما كان عليه

أشغال الجبس — أجمل مايذكر من أشغال الجبس فى هذا الجامع هو الطراز الذى به الكتابة الكوفية الموجود فى دائر حيطان الايوان الكبير وهذه الكتابة وان نقص صدرها الا أنها تكاد تكون سليمة أما طراز المدرسة المالكية وهو من قبيل الاوّل فقد أثرت فيه الرطوبة

ولم يبق من أشغال الجبس الموجودة بشبابيك الجامع الا بقايا غير صالحة فى بعض طيقان القبة

هذه هى الحال التى وصل اليها الجامع اليوم ومنها يرى القارئ أنه قد تأثر من السنين فى جميع مشتملاته ومع ذلك يسرنا القول بان هذا الضرر يمكن ملافاته ويكفى لذلك السير على نهج البانى وتتبع عمله خطوة فخطوة ثم تجديد الاجزاء المشوّهة على حسب آثارها الظاهرة بكل أمانة بحيث لايدخل متولى هذا العمل شيأ من عندياته ولا يراعى ضرورة تناسب الاشكال والرسومات

الباب الخامس

فى الأعمال المقتضى اجراؤها بالجامع

وهى على نوعين

أولا ــ أعمال مختصة بتقوية الجامع واصلاحه وهدم الابنية التى أجريت بعد عصر بانيه وشوهت معالمه الاصلية

ثانيا ــ عملية الفحت ونقل الاتربة وازالة المبانى الحديثة حتى تنكشف بعض جوانب الجامع

وهاك بيان الاعمال التى من النوع الاول

الباب الكبير ــ تنظيف جانبيه بالغسيل لتظهر أصول زخارفه الكثيرة أيا كان نوعها وترميم جدرانه وكحلة احجارها خصوصا ما كان منها فى الجزء العلوى ثم اعادة درج السلم لما كانت عليه و بناء القلبة اليسرى التى زالت وعثرنا على الدرجات الاولى منها فى باطن أرضية الشارع

الوجهات ــ ترميم الاجزاء السفلى للجدران وهى قائمة وطلاء الجهات التى أحجارها متآكلة بالجبس ونحوه مع المحافظة على الشدوخ والثلم التى منشأها بعض الوقائع التاريخية واعادة فتح الشبابيك التى سدت عمدا أو صدفة ثم تركيب حديد ودلف للشبابيك من جنس الباقى منها اليوم واعادة عمل شبابيك الجبس العليا والحديد الذى يقيها وترميم الكرنيش ذى المقرنصات واعادة وضع الشرافات التى بقى مكانها ظاهرا

المآذن ــ قلنا ان حالة المأذنة الكبرى من حيث الموازنة لايخشى منها فلم يبق علينا الا ازالة أعمال الترميم التى أجريت فى الجزء العلوى منها لانها غير مناسبة لطرزها ثم عملها من جديد على حسب التصميم القديم . أما المأذنة الصغيرة القائمة فى محل المنارة الاصلية التى هدمت فى القرن السابع عشر فانها وان كانت لاتستحق الحفظ لعدم ظرف طرزها وكثرة نظيراتها بمصر الا أنه لاينبغى أن نفكر فى هدمها واعادة بناء المأذنة الاصلية أو اقامة مأذنة من نوعها لانه ليس لنا أمل فى العثور على وصف لها أو تخطيط يكفى لارشادنا الى كيفية اقامتها ومن ثم يتعين علينا الاقتصار على اجراء الترميمات الضرورية جدا

القبة ــ أما من حيث القبة فتضطرنا الحال للمحافظة عليها كما هى للسبب الذى ذكر فى الكلام على المأذنة الصغرى وان كان طرزها يغاير طرز القبة الاصلية بلا مراء

الدركاة (الدركة) ــ تنظيف بياض الحيطان وترميم المقرنصات وتركيب شبابيك من الجبس فى الطيقان ووضع حديد وشمسيات فى الباب المؤدى الى الجهة الغربية وهو المسمى بباب السبيل

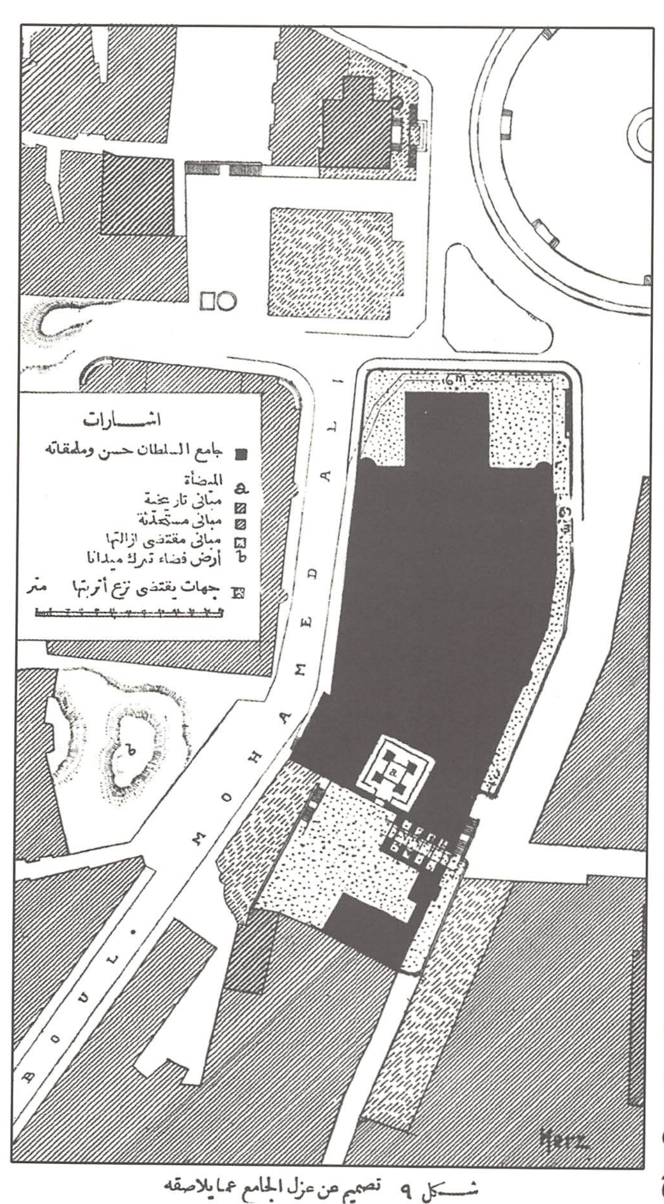
الدهاليز ــ تنظيف وترميم جدران وبلاط الدهاليز المؤدية الى الدركاة وتركيب شبابيك وشمسيات للطيقان

صحن الجامع ــــ تنظيف الحيطان والابواب الستة المصنوعة من الرخام واعادة الفسقية الى ما كانت عليه بالدقة مع عمل شبابيكها من جديد على حسب الرسم الاصلى الوارد فى كتاب المسيوليون ثم ترميم مسارب المياه المركبة على حافتها حتى يمكن استعمالها وترميم الكتابة المنقوشة نقشا بارزا على قبتها وهدم الحوض ذى الحنفيات لانه من الزيادات الحديثة التى لا فائدة فيها بل هى مشوّهة لصحن الجامع بقربها من الفسقية الكبيرة(١) أما بلاط الارضية فقد قلنا أنه ليس من عصر تأسيس الجامع ولا فائدة اذا من ترميمه على حسب رسمه الحالى فضلا عن أنه لدقته يستدعى نفقات باهظة مع انه سريع العطب ولا يقاوم التأثيرات الجوية ولذلك نرى الاقتصار على اعادة تبليطه على هيئة رسومات ليست بدقيقة على حسب بلاط بعض الجوامع الاخرى(٢)

الايوانات الثلاث البحرى والقبلى والغربى ــــ هذه الايوانات تعمل فيها أعمال بسيطة لاحاجة لتفصيلها

الايوان الشرقى ــــ تنظيف وترميم البياض . ازالة طبقة البياض (بالفرشة) التى تغطى الطراز الشامل للكتابة الكوفية ثم تنظيف وترميم الوزرات . تقوية وتنظيف المنبر والدكة . ترميم الابواب المصفحة بالنحاس وباب المنبر والبابين الجانبيين له ثم اصلاح تكفيت الباب الكبير بالذهب والفضة المؤدى الى التربة حتى يعود لما كان عليه من قبل

التربة ــــ يلزمها من الاعمال اعادة فتح الشبابيك المسدودة التى لم يكن الغرض من سدها تقوية الحيطان لانها متينة ثم تركيب سلك من حديد وشمسيات لها وغسل وترميم الرخام المركب فى الحيطان والمحراب وتكميل الكتابة الجميلة المنقوشة على الخشب وهى المزينة للتربة واعادة تمويه جزء منها على حسب الآثار الباقية وكذلك يجب أن يعمل فى ثلاث من دلايات القبة الاربع . أما الطيقان التى تعلوها فيجب سدها وقاية لها من التأثيرات الجوية



شكل ٩ تصميم من عزل الجامع عما يلاصقه

المدارس ــــ هذه المدارس الاربع يلزمها تقوية جدرانها واعادة تركيب أبوابها وشبابيكها

السقف والسطوح ــــ حيث ان السقوف والسطوح مما يساعد على حفظ الابنية فيلزم العناية بترميمها

الميضأة ــــ حيث ان الميضأة ومرافقها لم تؤثر فيها الايام الا قليلا فيمكن مع السهولة استعمالها لما أعدت له فى الاصل بعد رفع الاتربة واجراء بعض التصليحات

الساقية ــــ انه وان كانت فائدتها اليوم قليلة الا أنه يمكن تقويتها لتحفظ كأثر تاريخى

النقوش والزخارف ــــ قد أشرنا فيما سبق الى كثرة النقوش والزخارف الباقية بالجامع حتى اليوم سواء كانت على الرخام أو الخشب وهذه وان كان الاقدام على اصلاحها يعدّ جريمة فى عرف الكثير من العلماء ولكنا نرى على كل حال ان اغفالها وعدم السعى وراء اصلاح

---

(١) وربما رأينا عدم هدم هذا الحوض والاكتفاء بنقله الى جهة أخرى لانه يمثل ذوق عصره

(٢) لما كانت هذه الاعمال تقضى على هذا البلاط قضاء لا مردّ له رأينا حفظ شكله ورسوماته فى اللوحة نمرة ١٤ الواردة فى هذا الكتاب

بعض أجزائها مع بقاء البعض الآخر كما هو مرضاة لاعتقاد هؤلاء العلماء يعدّ اهمالا لا يغفر لما فى ذلك من الفائدة للجمهور حيث يتمكن من الوقوف على طريقة التلوين التى تكاد تكون مجهولة فى الطرز العربى وبهذه الكيفية نحفظ لهذه الالوان أثرا مدة قرون ولا حاجة للقول بأننا لا نمس النقوش الغير الكاملة الموجودة بباب الجامع الكبير

ثانيا — عملية الفحت ونقل الاتربة ثم هدم بعض المبانى الملاصقة للجامع لكشف بعض جوانبه

انه وان كانت أعمال الفحت بجوار الجامع وكشف بعض جوانبه لا تساعد فى الواقع ونفس الامر على حفظه الا أنها من الامور التى يجب مراعاتها فى مثل هذا البحث ولذلك نتكلم عليها هنا
قد اتسع نطاق مدينة القاهرة وتغيرت معالمها حتى لم تخل من ذلك الجهة الموجود بها جامع السلطان حسن اذ ارتفعت أرضية الشارع بجواره واستجدت أبنية الصقت بحيطانه بل بنيت أمكنة فى محال كان من اللازم تركها فضاء حوله وقد ازدحمت جوانبه بالابنية حتى أصبح من المتعذر ازالتها لكشفه

أما الوجهة الاصلية المطلة على شارع محمد على فيتعذر الفحت أمامها وغاية ما يمكن عمله مبين فى الرسم (شكل ٩)
ولكن من أول المأذنة الصغيرة يمكن أن يحفر خندق يختلف عرضه باختلاف الوجهات التى يمر بها وهى الوجهة الشرقية والوجهة القبلية والغربية الى أن يصل الى ميزانية الميضأة وتنشأ سلالم يتوصل منها الى باطن الخندق والى الميضأة التى ينبغى ارجاعها لاصلها

أما ارجاع حوالى الجامع الى ما كانت عليه من قبل حتى يتمكن الانسان من رؤية كتلة بنائه فأمر لا يرجى حصوله اذ أن جامع الرفاعى الجديد يحول دون نظر الوجهة الاصلية عدا البوابة الكبيرة ولكن من باب ما لا يدرك كله لا يترك قله يمكن ازالة البيوت الواقعة شرقى الجامع فيحدث من هدمها ميدان يظهر منه الاثر على هيئة تروق فى عين الناظر وهى مجموع الوجهة الاصلية وفى نهايتها البوابة الكبيرة وفوق ذلك القبة والمنارتان
ويساعد على كمال هذا المنظور هدم المصطبة التى أضيفت الى جامع المحمودية فى هذا القرن الحالى ثم اعادة السلم القديم الى ما كان عليه وهذا السلم ربما كان باقيا الى الآن تحت هذه المصطبة

ويجدر باللجنة أن تطلب من نظارة الاشغال العدول عن العمل بمقتضى التصميمات التى وضعتها للبناء فى الميدان الممتدّ الآن أمام البوابة الكبيرة من جهة سوق السلاح وهو المبين بالرسم نمرة ٩ تحت حرف (ب) ولست بمبتدع لهذه الفكرة بل سبقنى اليها المسيو جومار فانه عند رؤية الخرابات التى كانت قائمة هناك (وقد زالت منها الاتربة اليوم لاجل أن تبنى عليها الابنية) قال ان منظر هذا الجامع يكون أوقع فى النفس لو كان له ميدان من هذه الجهة كما له من جهة القلعة يعنى بذلك جهة سوق السلاح

الباب السادس

فى النفقات المقتضى صرفها على هذه الأعمال

تبلغ النفقات المقدرة لاجراء الاعمال المبينة فى الباب السابق مايأتى

البيان	جنيه مصرى
أولا ــ لحت وهدم ونقل أتربة فى الميضأة وفى باقى انحاء الجامع لحت الخندق المقتضى انشاؤه حول الجامع هدم الزيادات المستحدثة ونزع ملكية الابنية المبينة فى الباب الخامس وهدمها	٦٤٠٠
ثانيا ــ ترميم بحجر الآلة فى الوجهات وفى الجدران الداخلة والاربع مدارس والميضأة والمنارات وهلم جرا بناء سور بدائر الخندق	٥٣٠٠
بناء بالآجر والمونة	١٣٠٠
ثالثا ــ ترميم الاسطح	٤٠٠
رابعا ــ بياض	٣٠٠
خامسا ــ ترميم رخام الحيطان	٢٠٠
سادسا ــ اصلاح الوزرات التى من الرخام المختلف الاجناس بالايوان الكبير والتربة	١٣٠٠
سابعا ــ اصلاح بلاط الصحن وترميم الدكة والمنبر	٤٠٠٠
ثامنا ــ تصليح الشبابيك التى من الجبس والزجاج الملون	٨٠٠
تاسعا ــ ترميم مصراعى البوابة الكبيرة وسائر الابواب والشبابيك واصلاح النجارة الناقصة فى الجامع وكرسى الكهف ودلايات القبة	٦٦٠٠
عاشرا ــ اصلاح تكفيت مصراعى باب التربة بالذهب والفضة ومصراعى باب المنبر وبابى الايوان الكبير وتصليح نحاس أحد بوابات الصحن ثم تركيب شبابيك من نحاس وحديد بجميع الطاقات	٥٥٠٠
احدى عشر ــ تركيب سلك من نحاس أصفر لوقاية الشبابيك الزجاجية	٣٠٠
ثانى عشر ــ دهان جدران التربة وطلاء دلاياتها وطلاء الفسقية التى فى الصحن	١٢٠٠
ثالث عشر ــ اعمال تطرأ	٣٢٠٠
رابع عشر ــ مقابل ملاحظة هذه الاعمال	٣٢٠٠
المجموع	٤٠٠٠٠

ولو وزعت هذه المبالغ على أجزاء الجامع لخص كل ماهو مدرج أمامه

البيان	جنيه مصرى
(١) البوابة والوجهات والمنارات	٦٦٠٠
(٢) الصحن	٦٢٠٠
(٣) الايوان الكبير	١١٠٠
(٤) الايوانات الثلاث الاخرى	٨٠٠
(٥) المدرسة المالكية	١٥٠٠
(٦) المدرسة الشافعية	٢٨٠٠
(٧) المدرسة الحنفية	٢٨٠٠
نقل بعده	٢١٨٠٠

	جنيه مصرى
ماقبله	٢١٨٠٠
(٨) المدرسة الحنبلية	١١٠٠
(٩) التربة	٢٩٠٠
(١٠) الجهة الواقعة غربى الجامع (الميضأة والابنية التى على جوانبها)	٢٠٠٠
(١١) الخندق	١٢٠٠
(١٢) نزع ملكية الابنية وهدمها	٤٦٠٠
(١٣) الاعمال التى تطرأ	٣٢٠٠
(١٤) ملاحظة الاعمال	٣٢٠٠
المجموع	٤٠٠٠٠

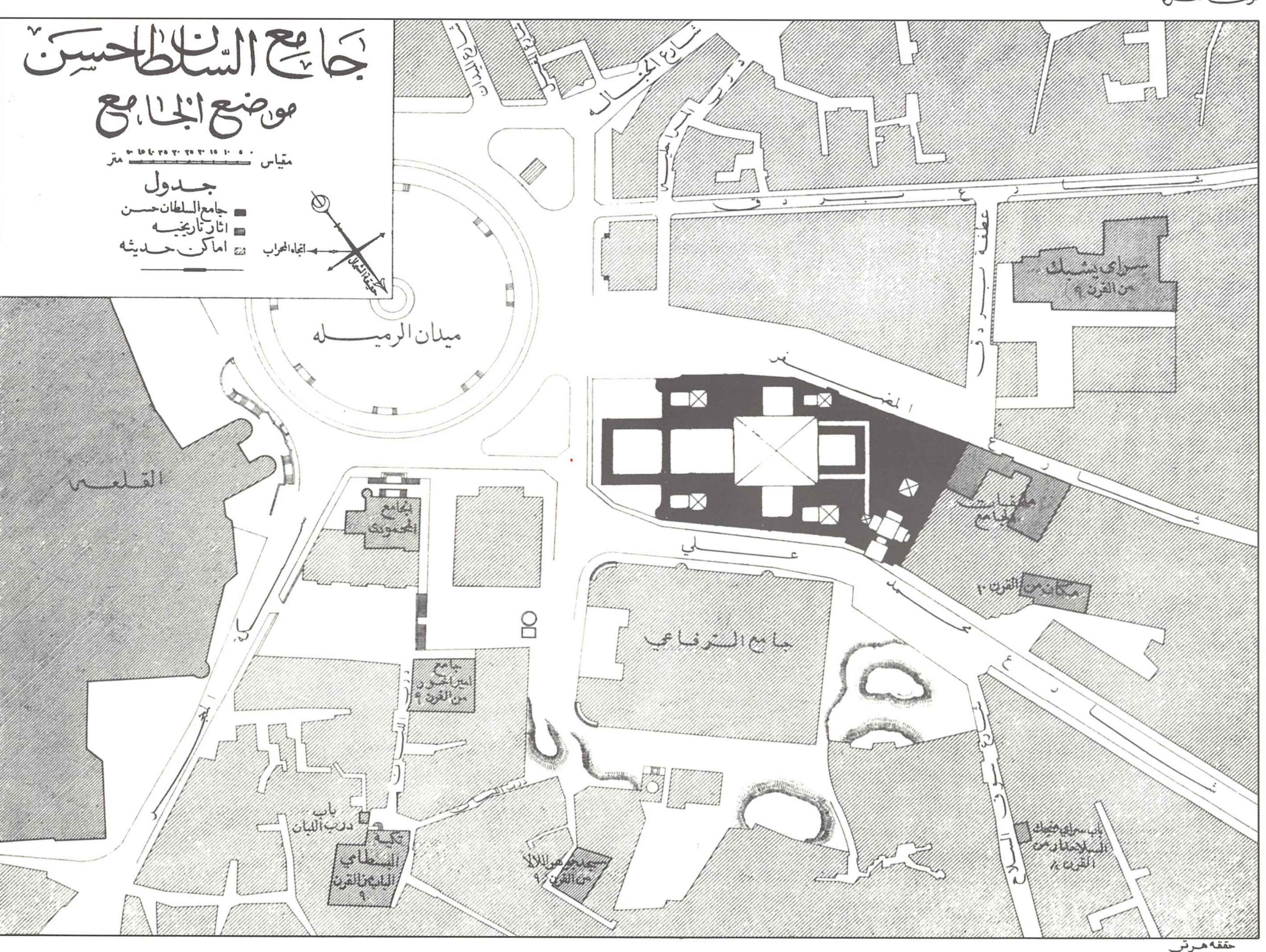
فهرست الكتاب

(ا) متن الكتاب

الاشكال الواردة فى متن الكتاب

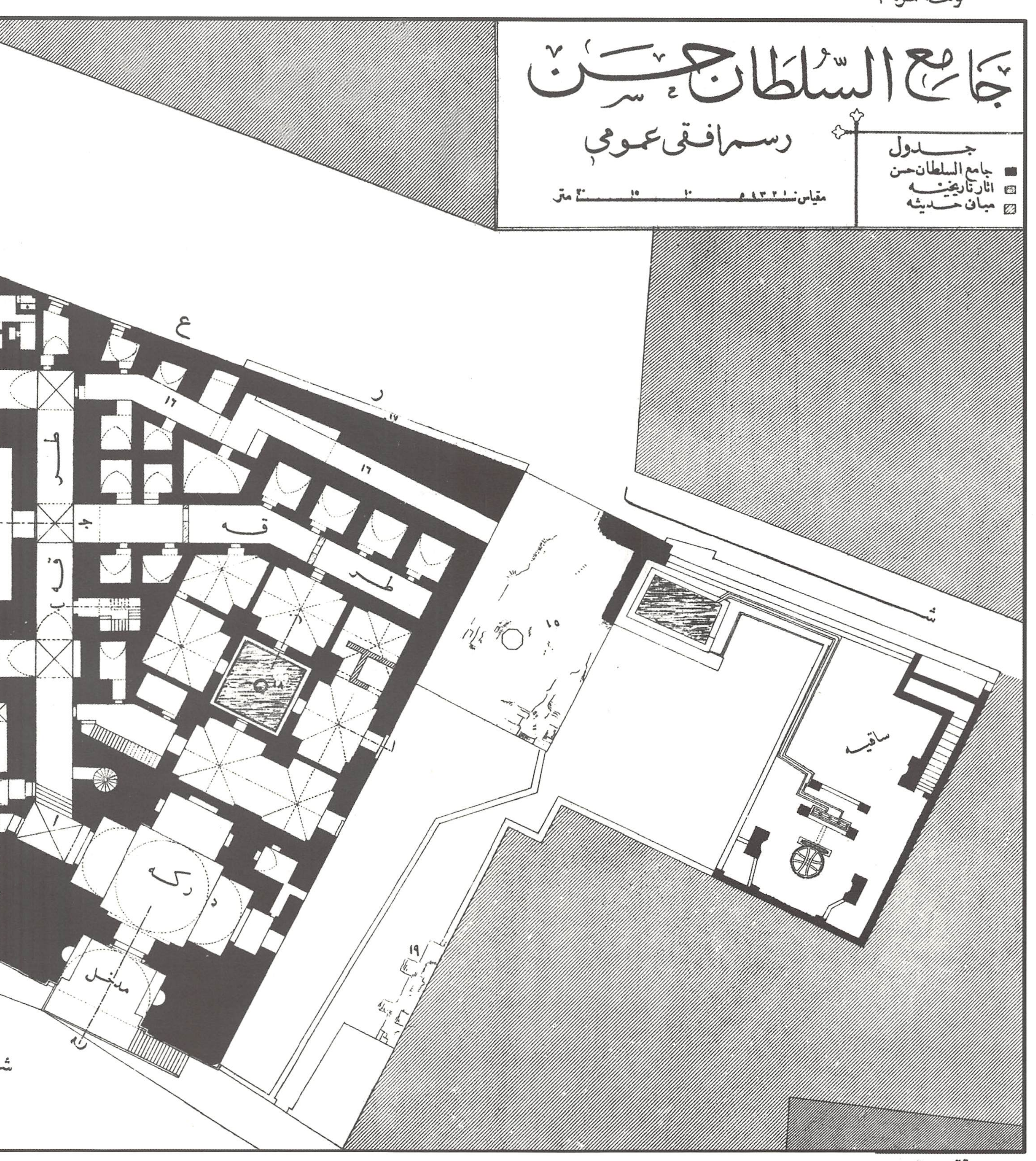
(ب) اللوحات الواردة فى الكتاب

لوحة نمرة

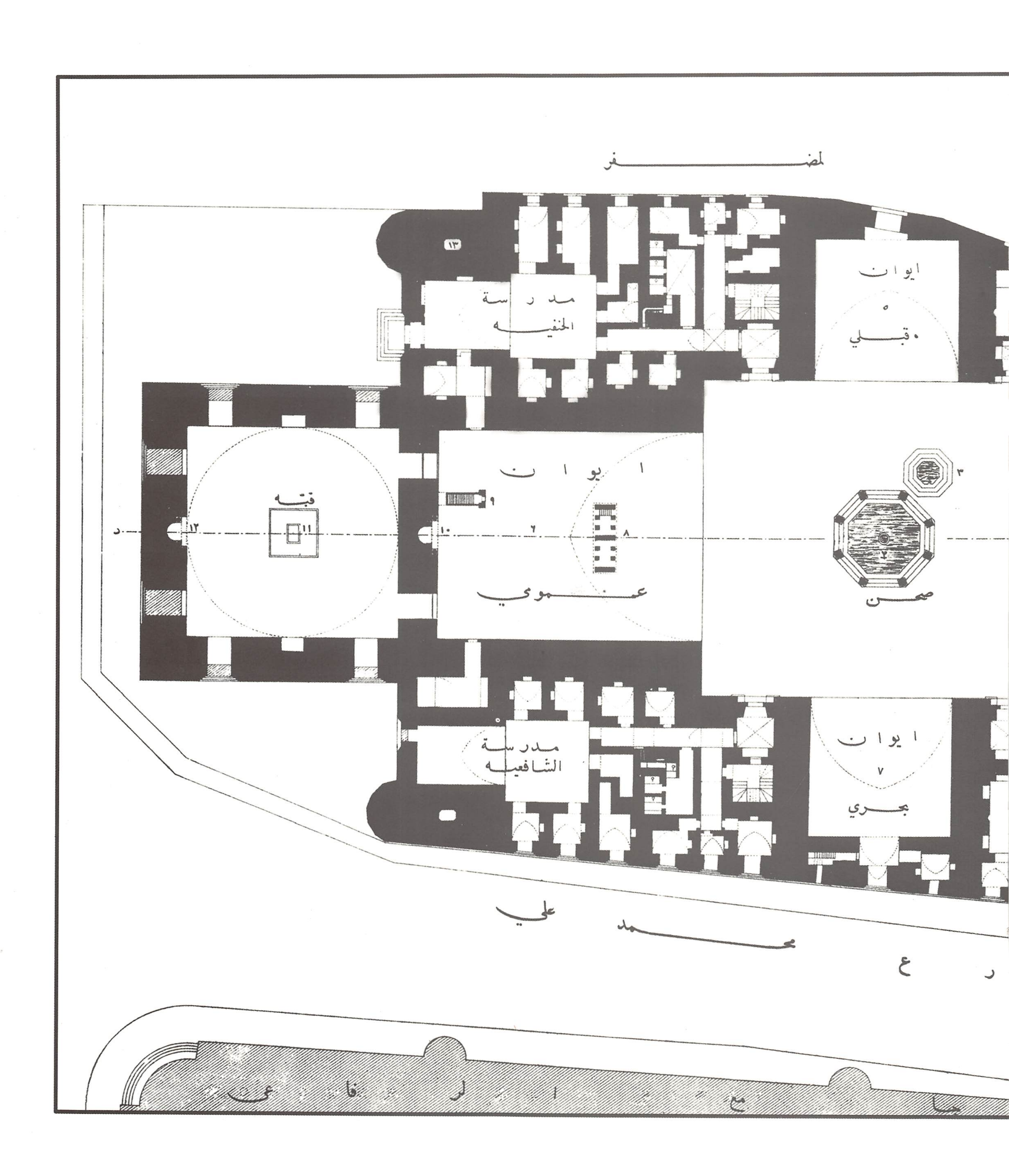


حققه هرتز

لوحة نمرة ٢

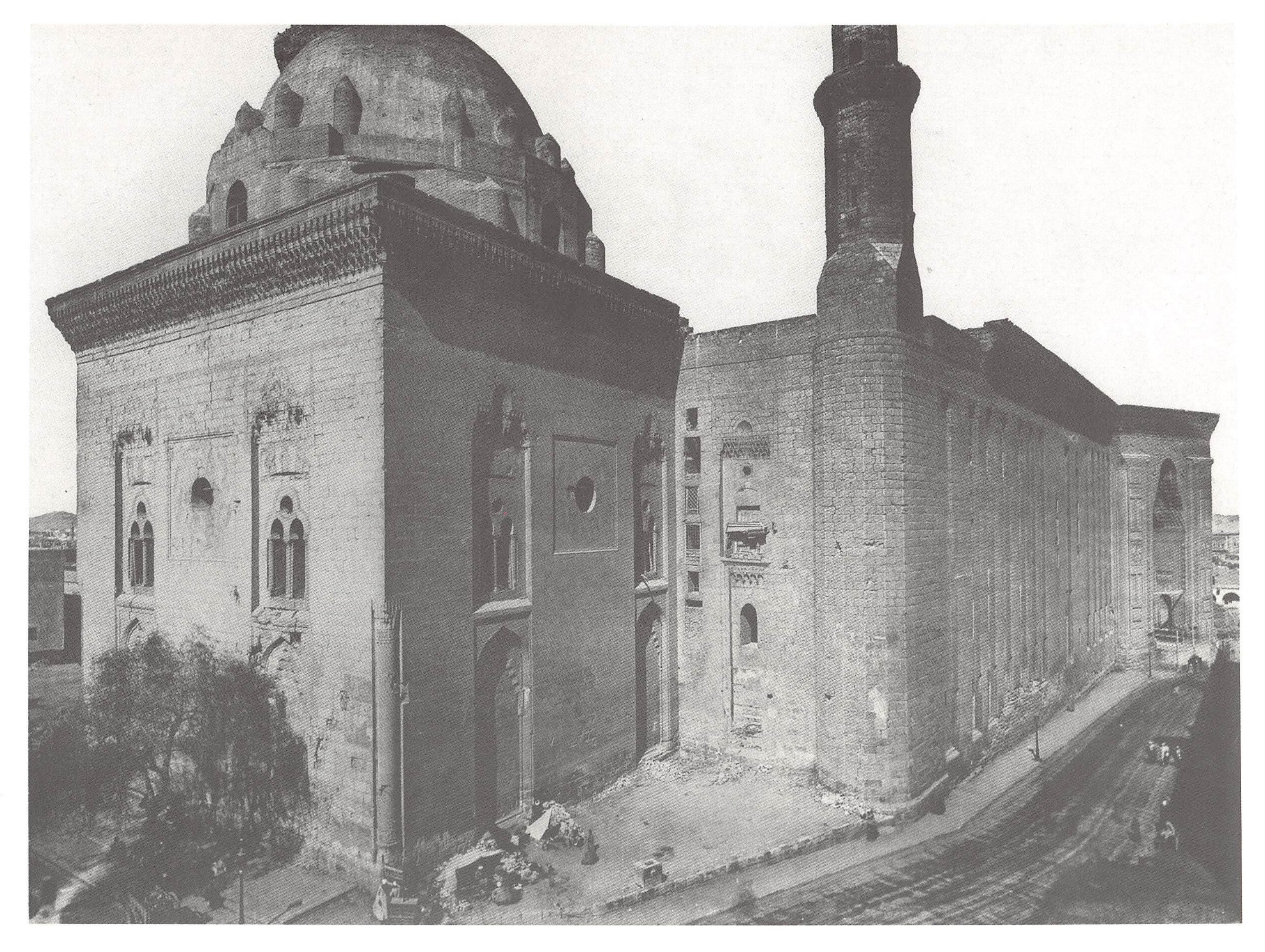


حققه هرتز



مدرسة
الحنفيه
ايوان
قبلي
قبه
ايوان
صحن
مدرسة
الشافعيه
ايوان
بحري
محمد علي



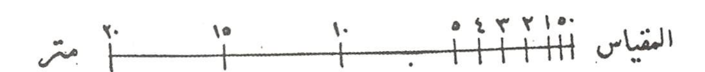


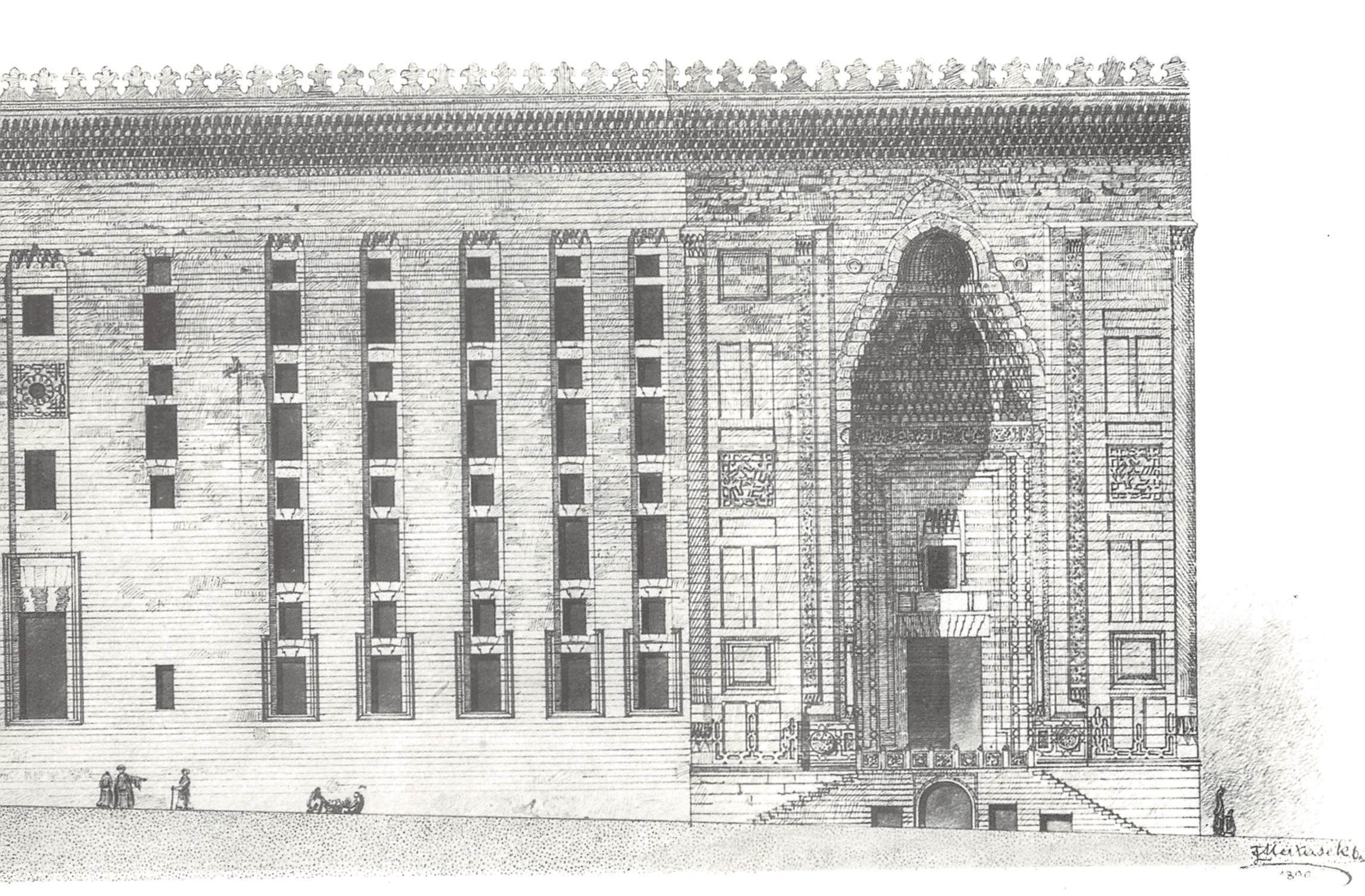
جامع السلطان حسن

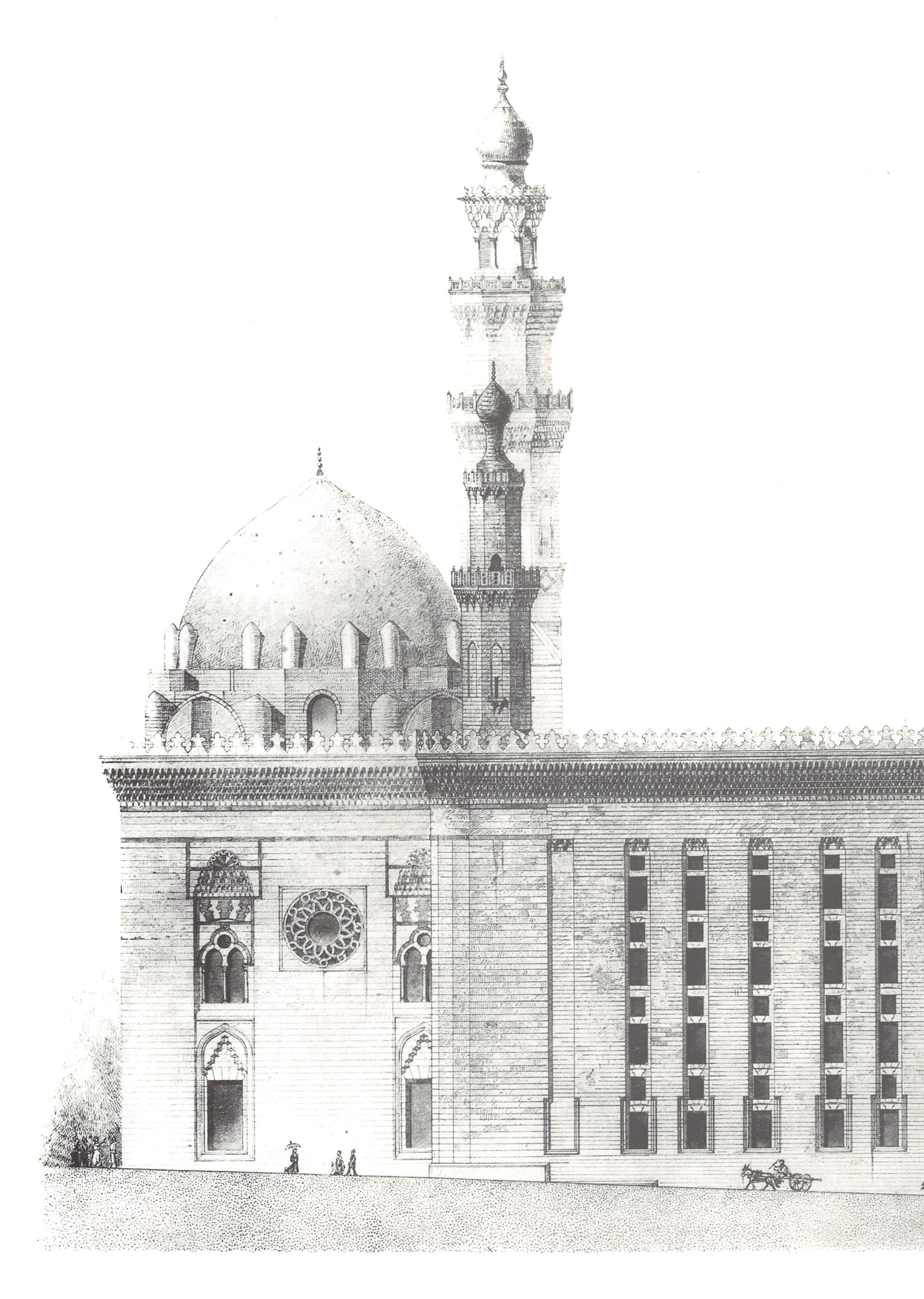
منظر من الناحية الشرقية

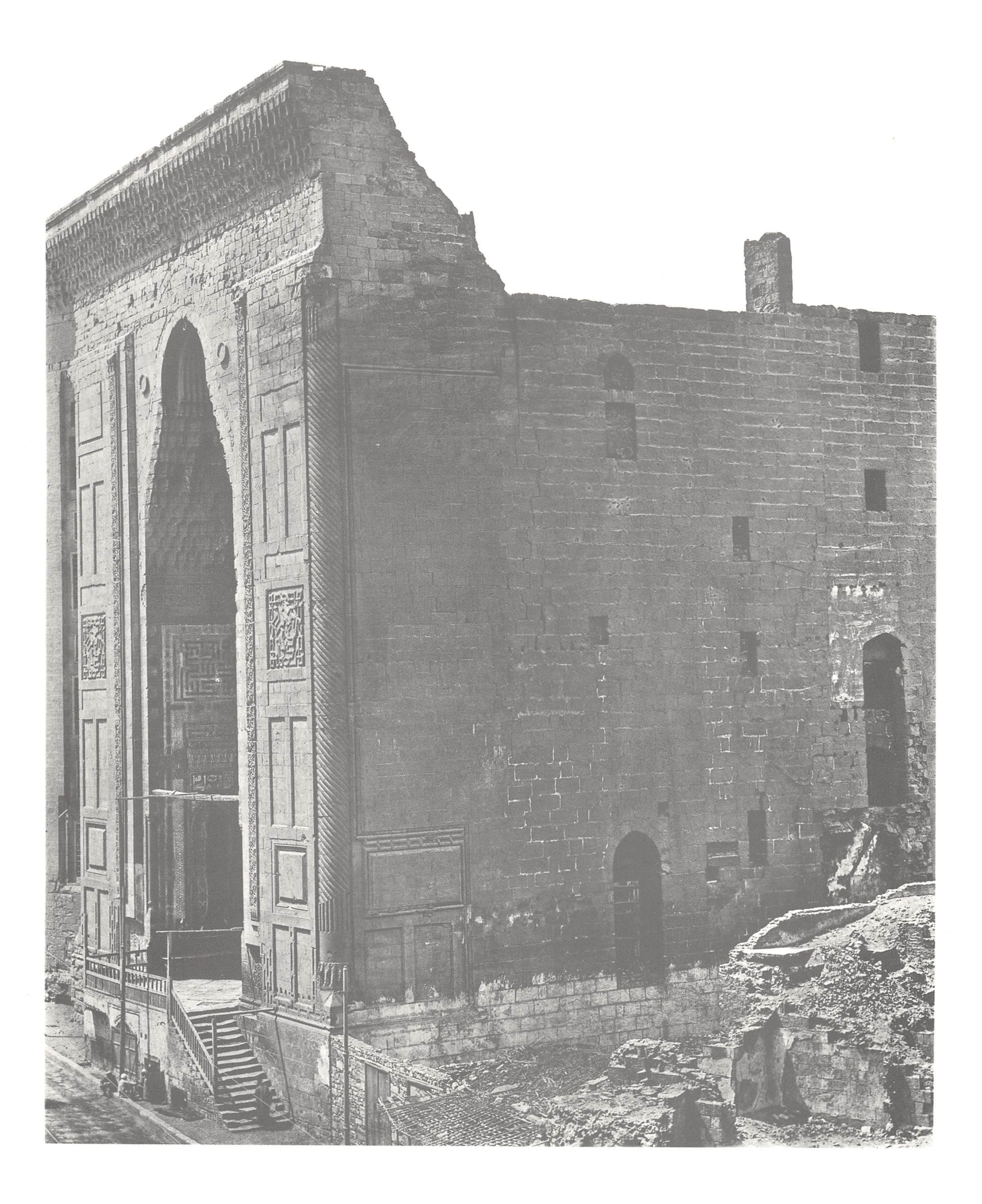
جامع السلطان حسن

واجهة عمومية



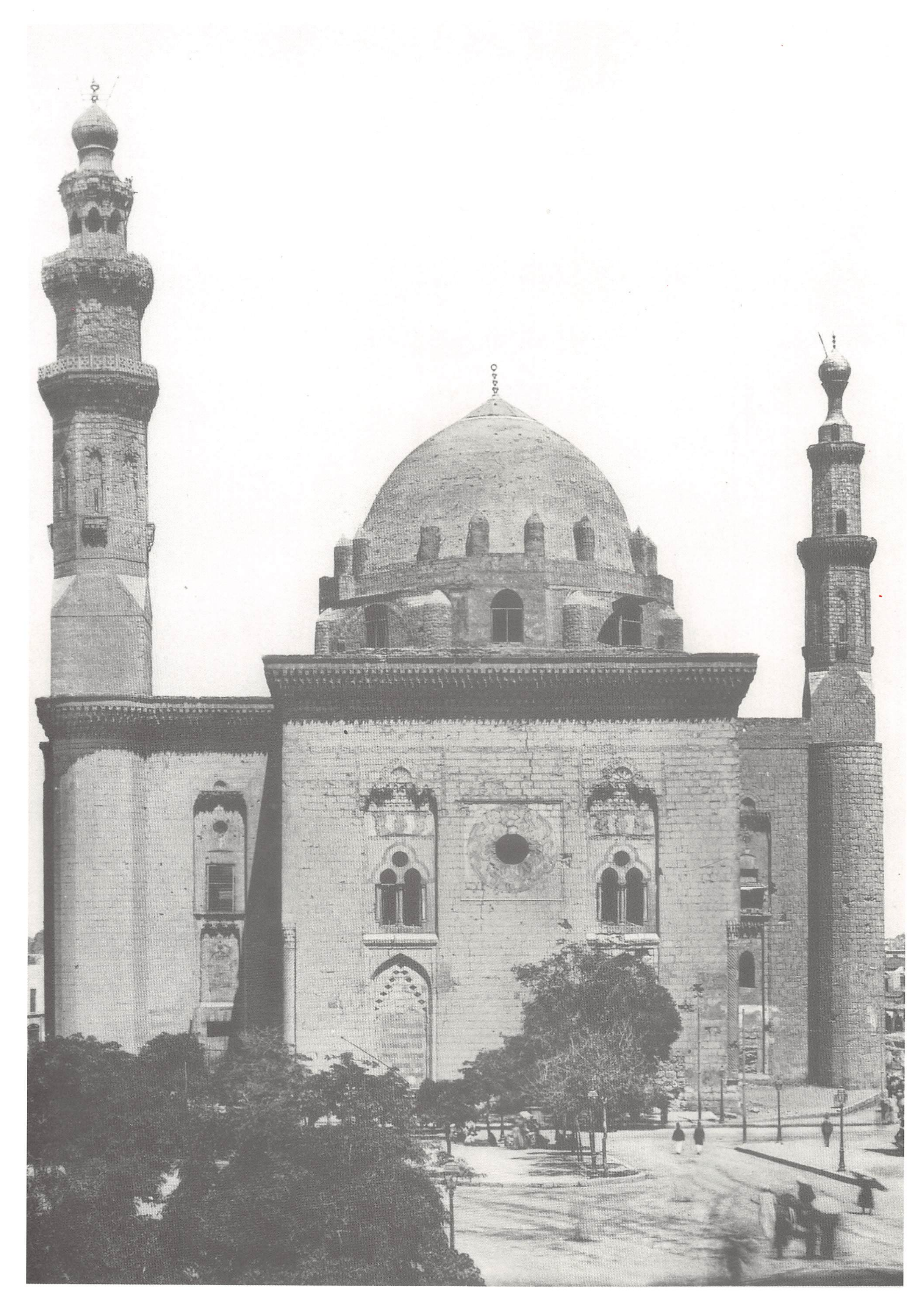






جامع السلطان حسن

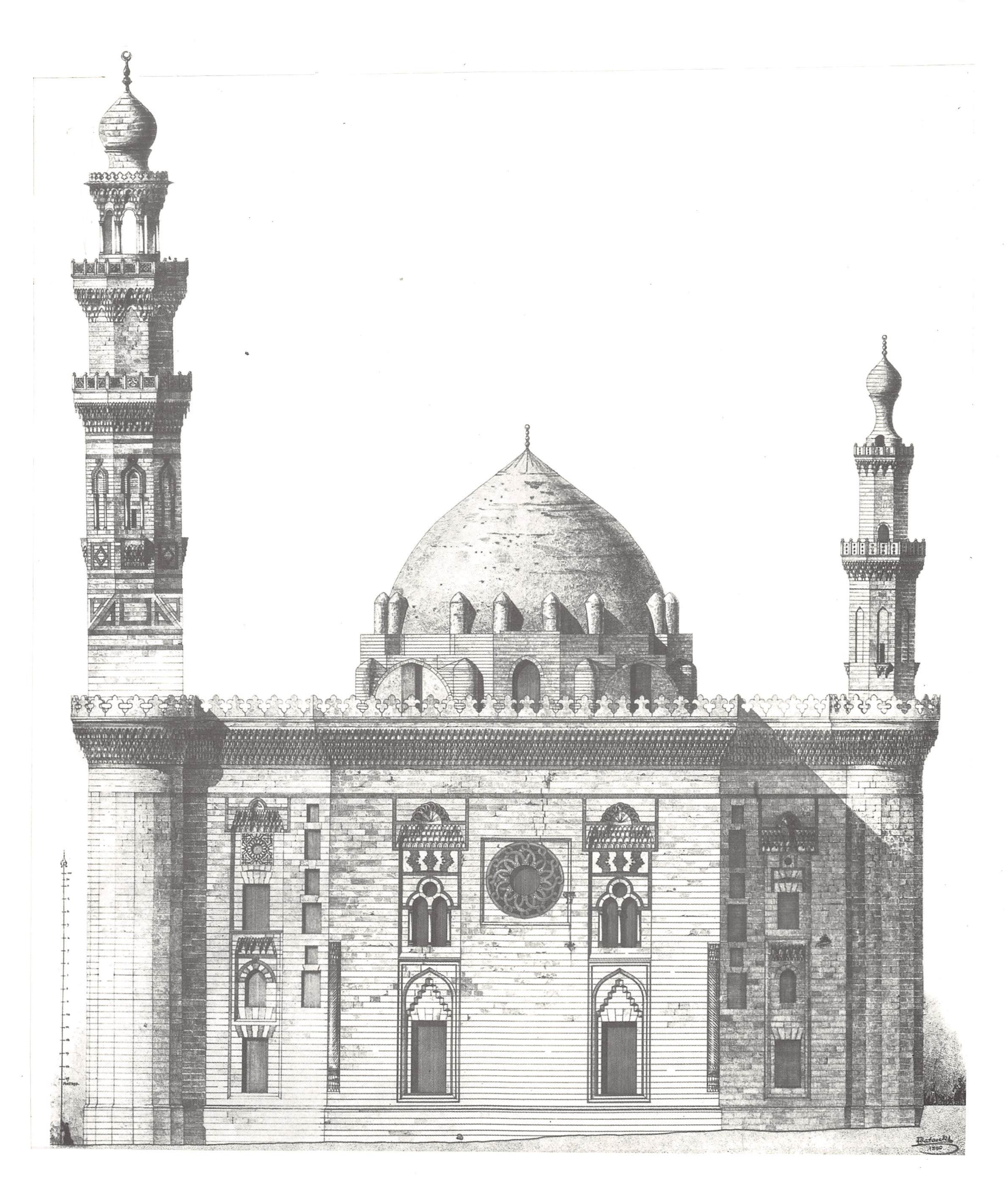
منظر الباب الكبير وجزء من الواجهة البحرية الغربية



جامع السلطان حسن

منظر واجهات قبلي شرقي

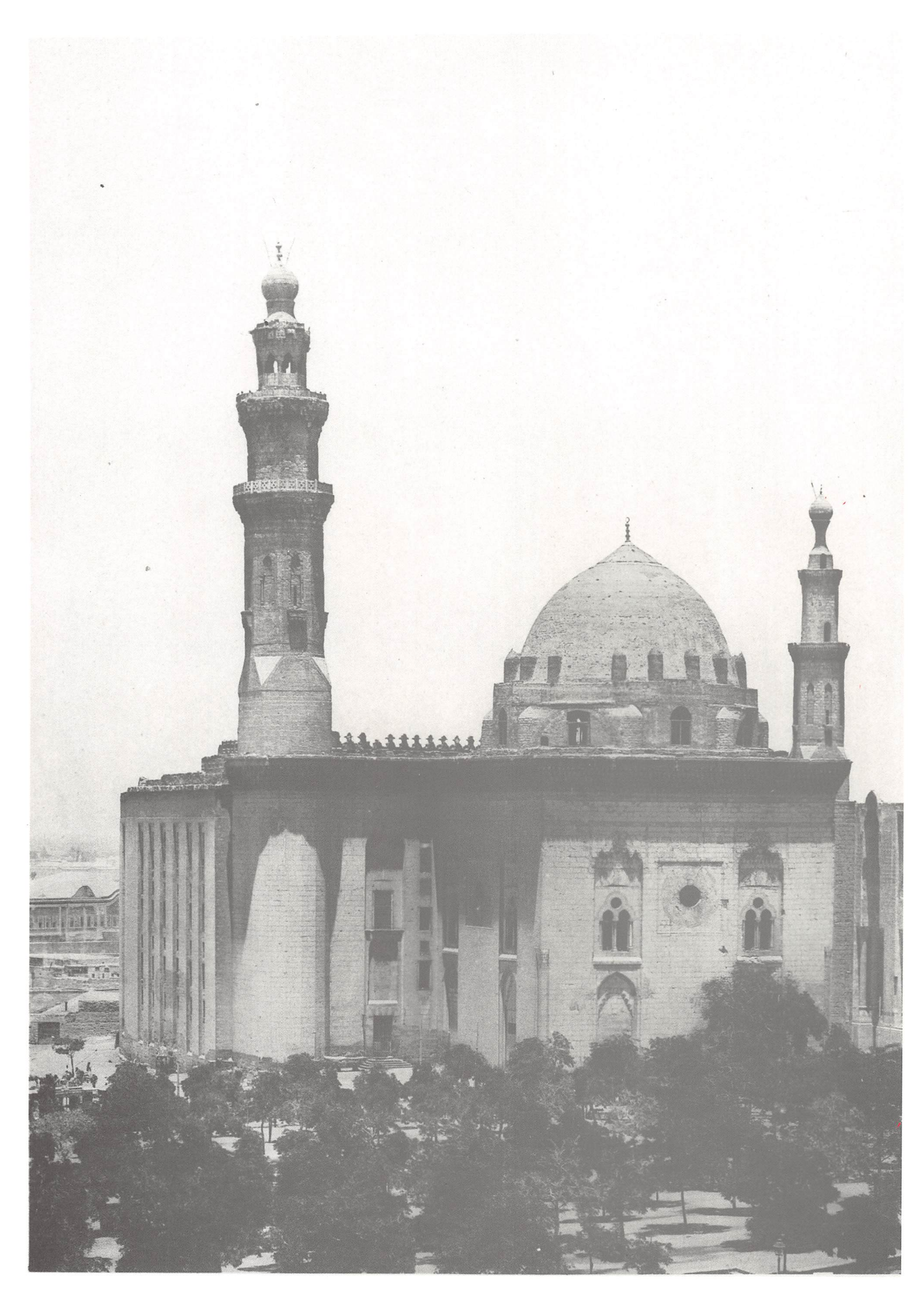




جامع السلطان حسن

منظر واجهات قبلي شرقي

بتجديد بعض اجزاء

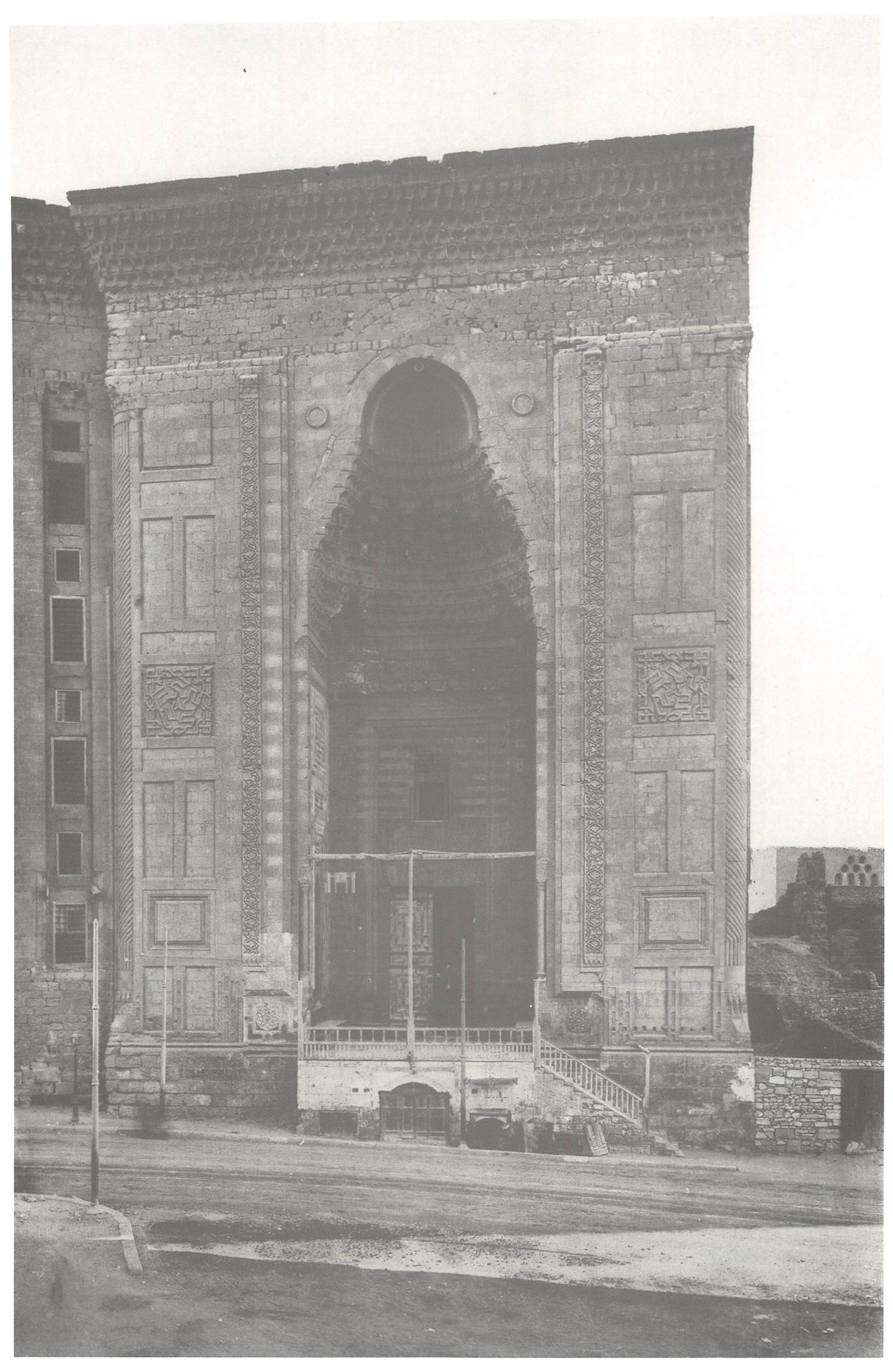


جامع السلطان حسن

منظر من الناصية القبلية



لوحة ٩



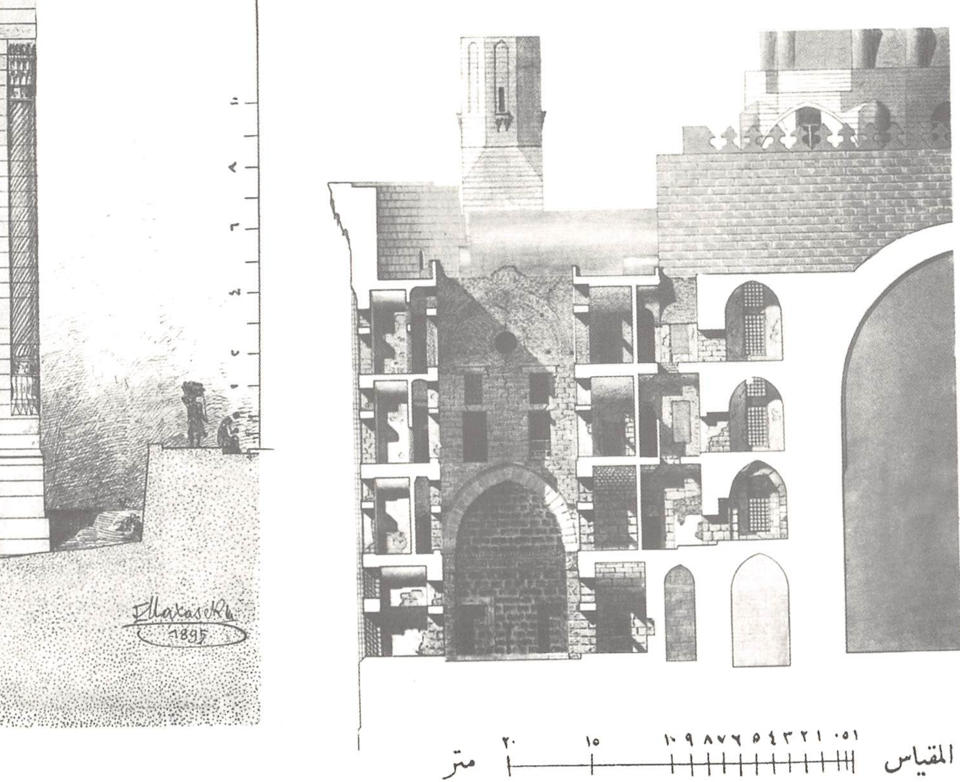
جامع السلطان حسن

الباب الكبير

جامع السلطان حسن

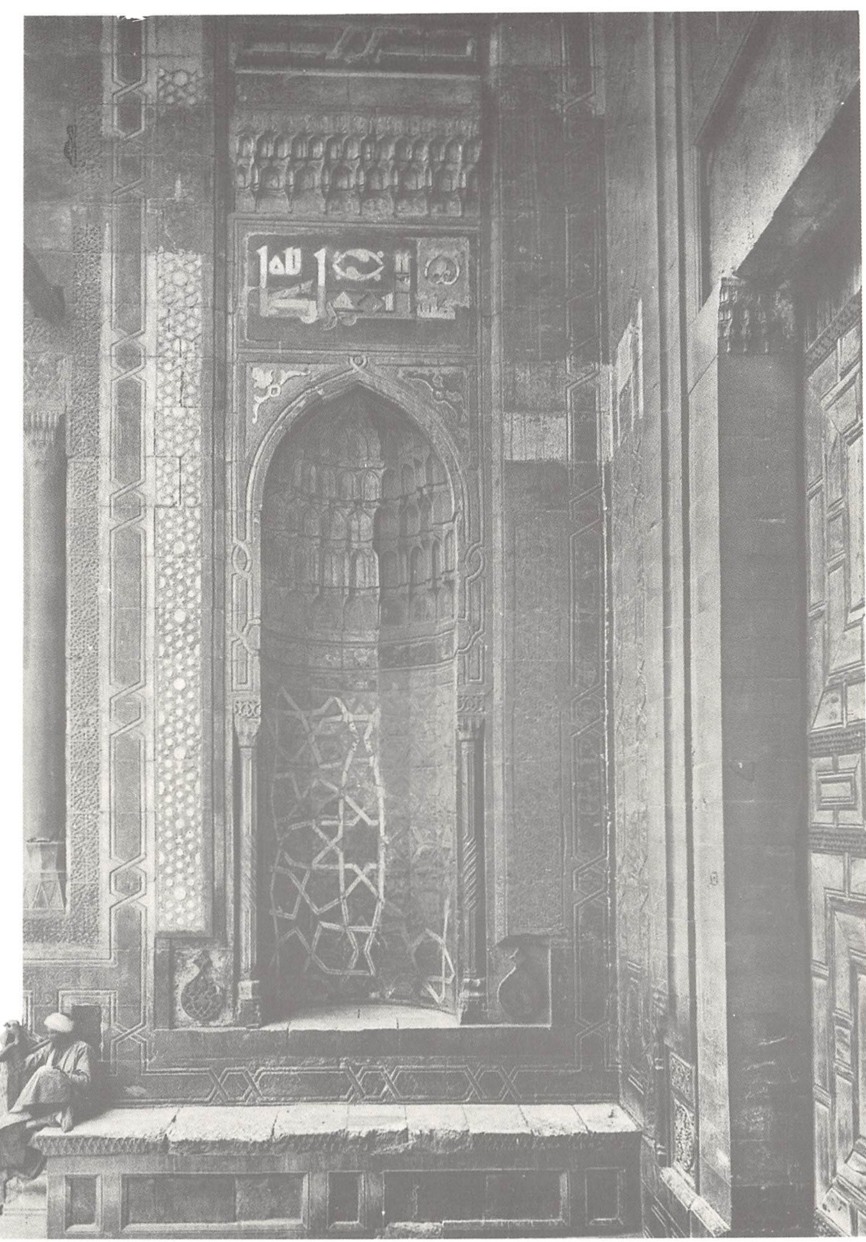
مدرسة المالكية

قطاع منه ومن اللوحتين الثانية والسابعة عشر

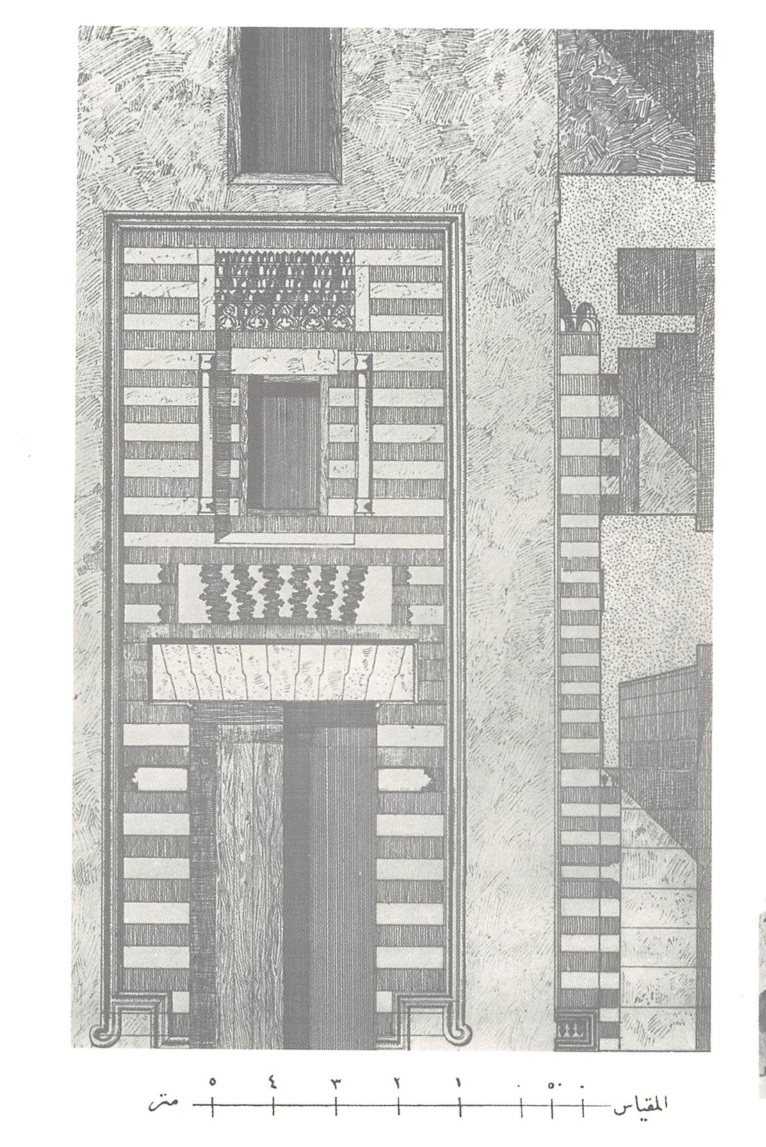


وجه خارجي قبلي شرقي من قاعة الضريح

جامع السلطان حسن



وجه جانبي من الباب الكبير



باب الدخول الى الصحن

جامع السلطان حسن

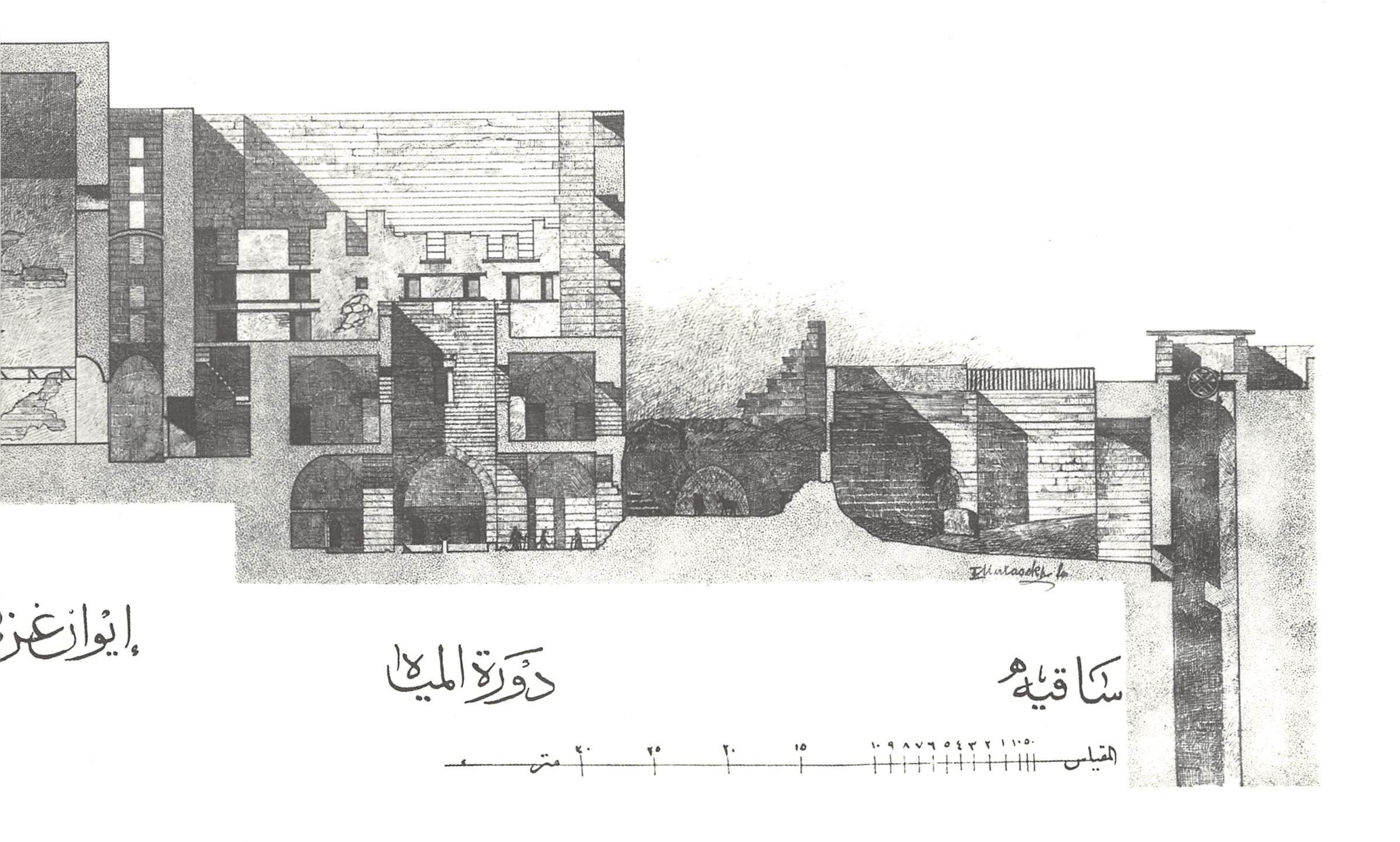
قطاع من زح من اللوحة الثانية
طرقة ودورة المياه

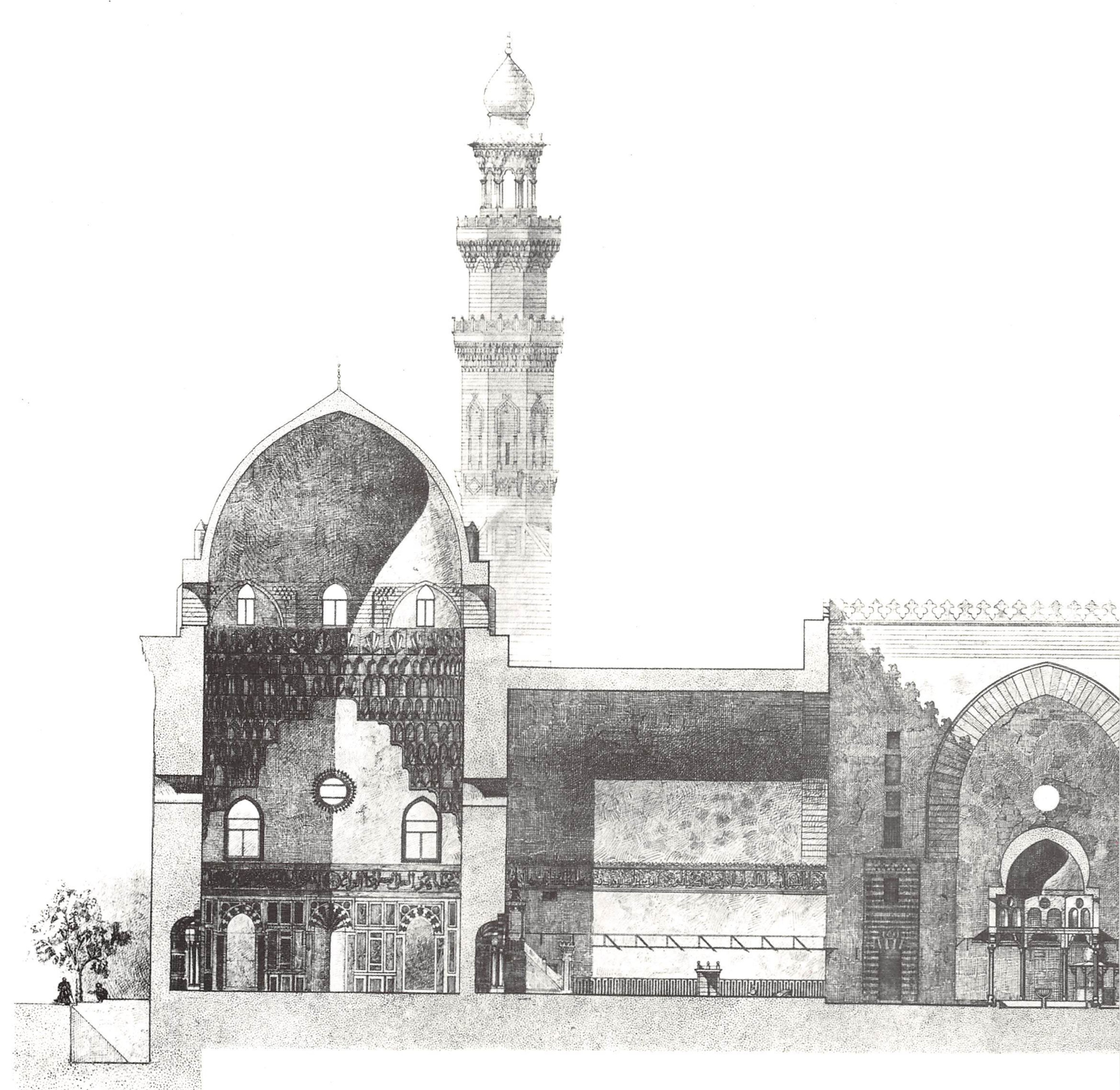
المقياس ٠ ٥٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١٥ ٢٠ متر

لوحه ١٣

جامع السلطان حسن

قطاع طولي من ا ب ج د من اللوحة الثانيه





قاعة الضريح

إيوان شرقي

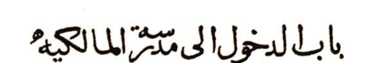
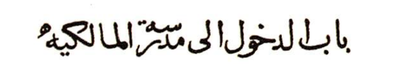
وان قبلي

صحن



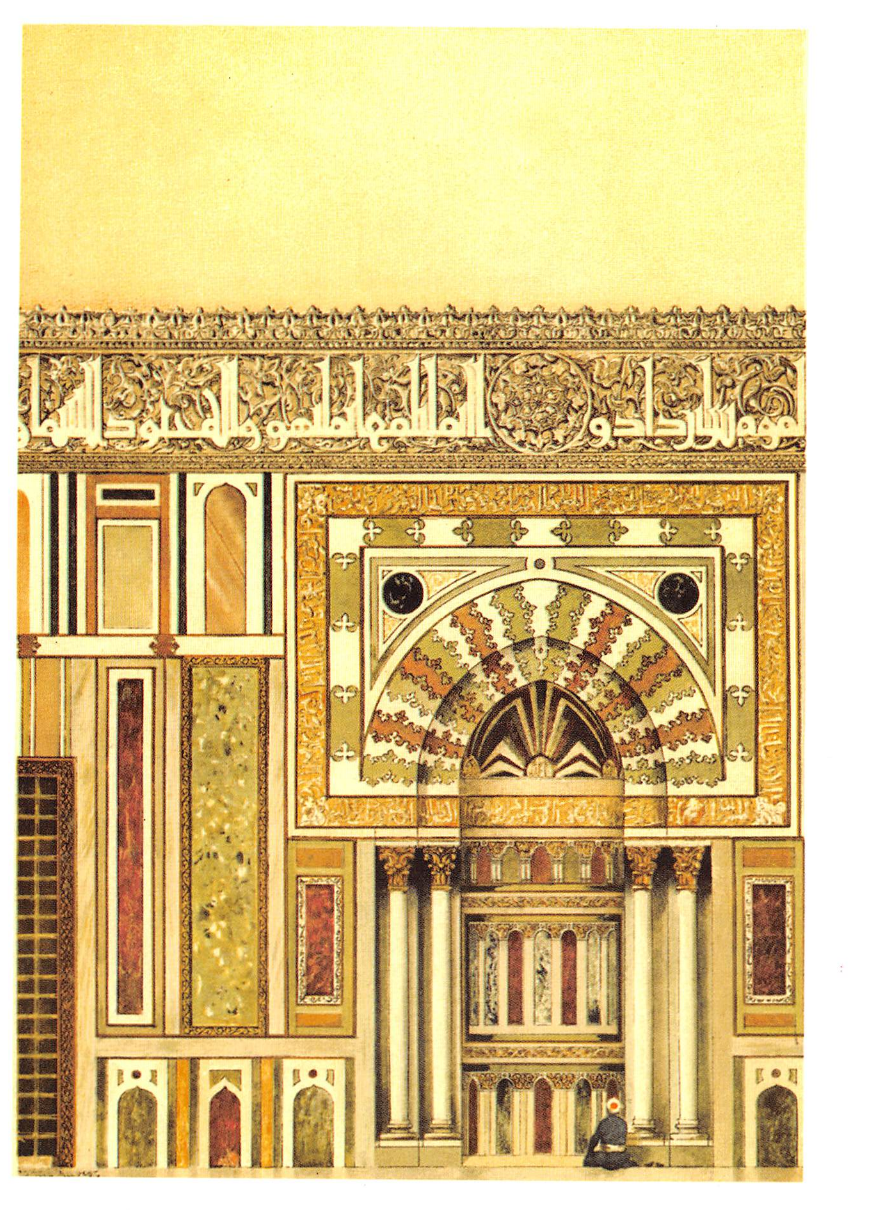
جامع السلطان حسن

منظر الصحن والايوان العمومي

باب الدخول الى مدرسة المالكية

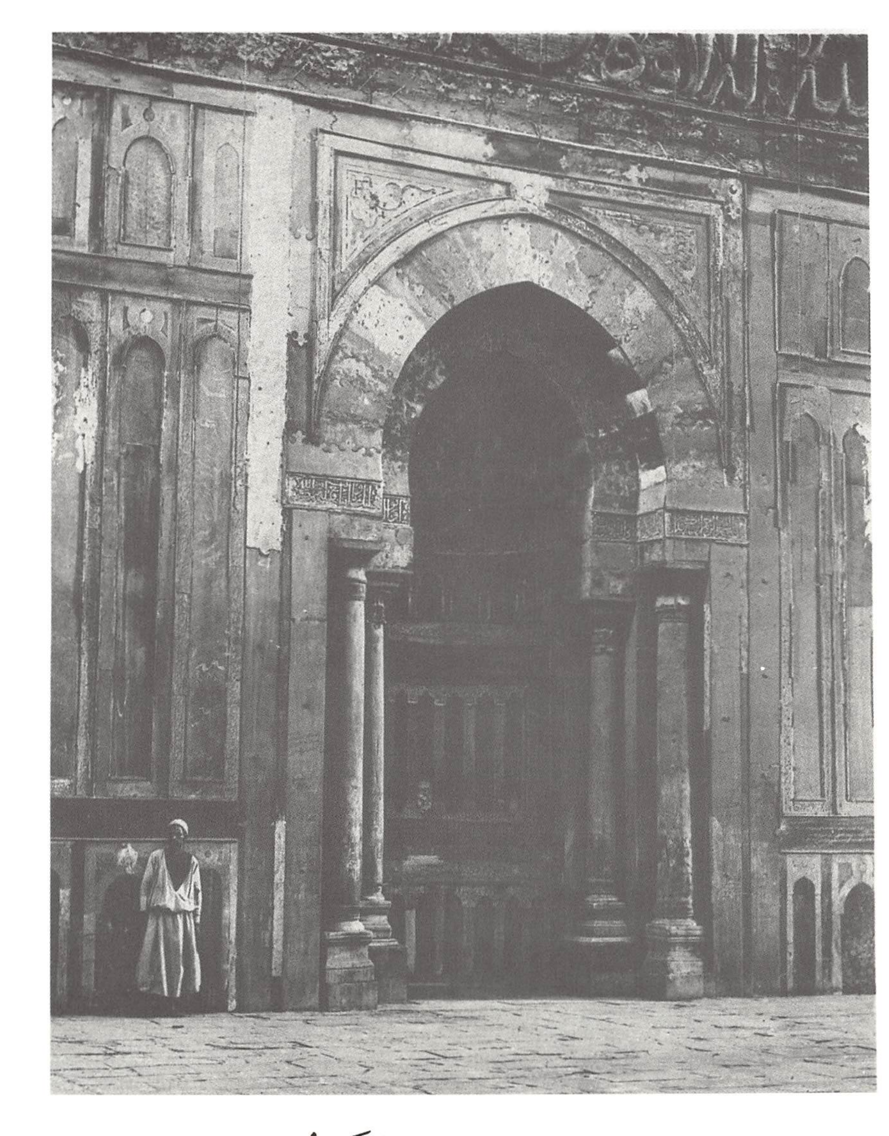
المقياس ٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ متر



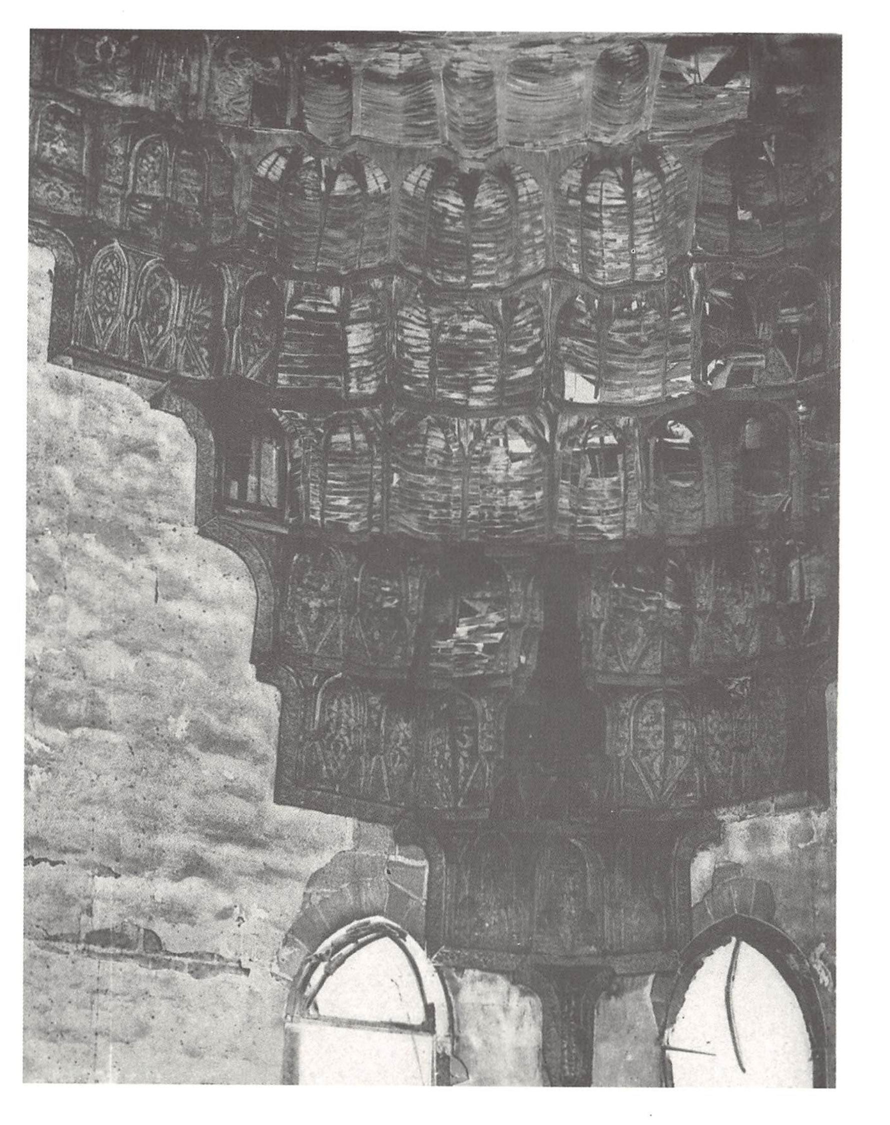
مفردات الايوان العمومي

المقياس ٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ متر

جامع السلطان حسن



محراب قاعة الضريح



زوايا بمقرنصات في قاعة الضريح

جامع السلطان حسن

جامع السلطان حسن

جدول

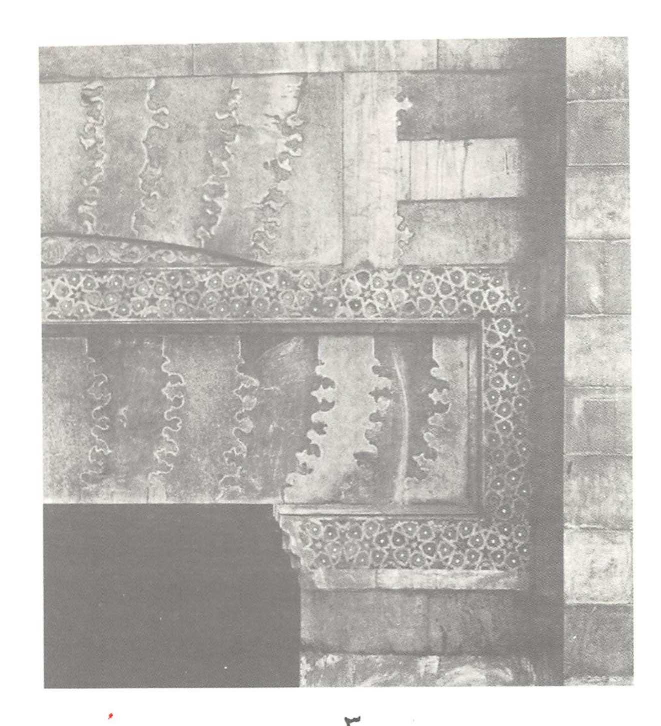
١ باب الميضأه
٢ طـرقه
٣ ميضـأه
٤ مراحيض
٥ قاعة معقوده
٦ بقايا من قاعة ثانية معقوده
٧ بئر الساقيه
□ بناء حديث

رسم الدور الاول
مدرسة المالكيه

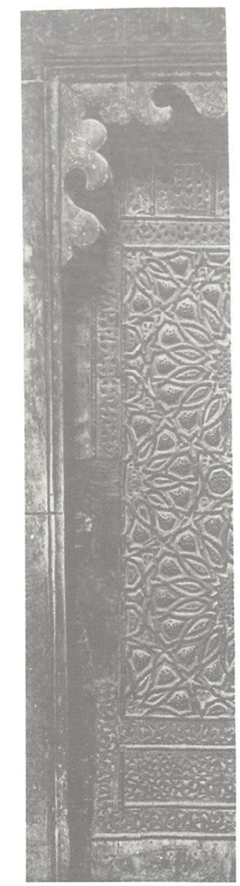
رسم
عن
الميضأة والساقيه

ايوان بحري
صحن
ايوان
غربي
صحن
مدرسة
المالكيه
شارع محمد علي
مقياس
٠ ٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ١٢ ١٤ ١٦ ١٨ ٢٠ متر
دركه

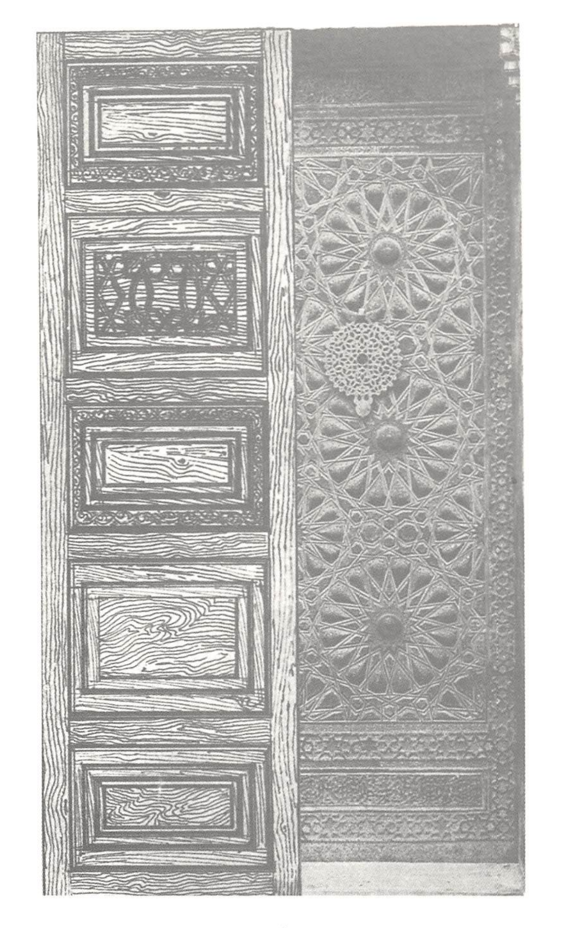
حققه هرتس



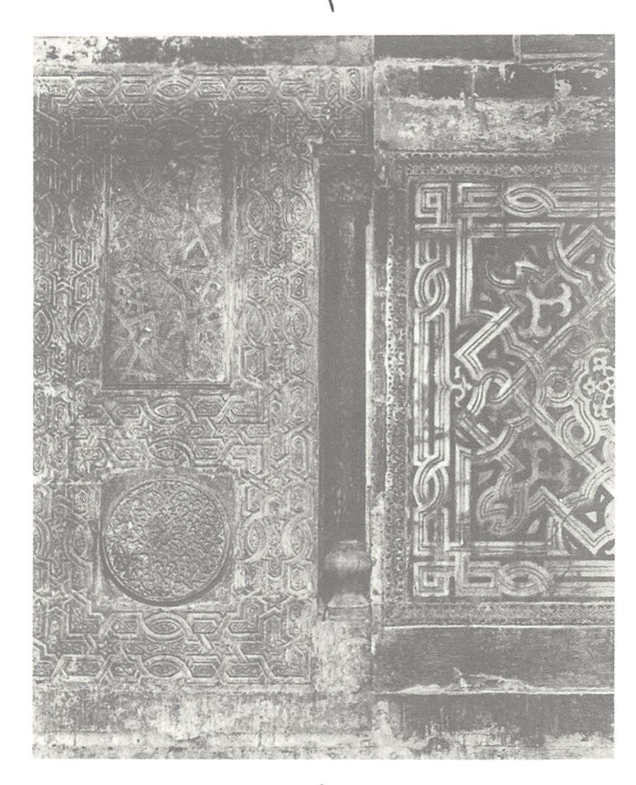
٣



٢



١



٥

جامع السلطان حسن

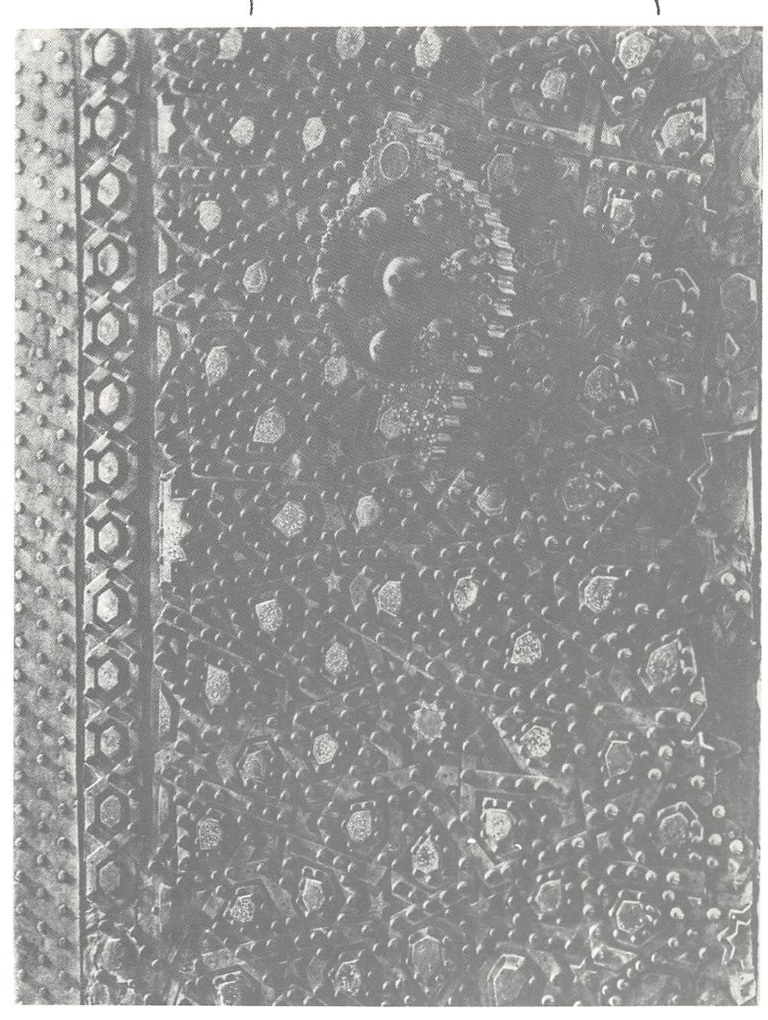
١ باب جامع السلطان حسن (الآن بجامع المؤيد)

٢ باب المنبر

٣ عتب باب الدخول الى مدرسة المالكية

٤ مفردات باب قاعة الضريح

٥ زخرفة جنب من نهاية الدركه



٤





١

٢

٣

١ طراز ذو كتابة كوفية من الإيوان العمومي

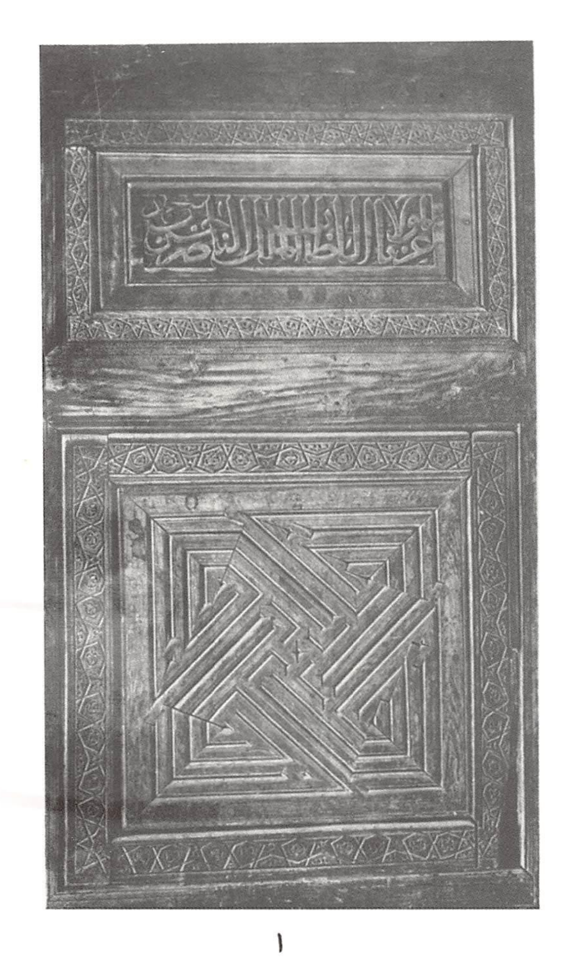
٢ ناصية من الدكة

٣ زخرفة جزء أسفل الكتف من كتفي الباب العمومي

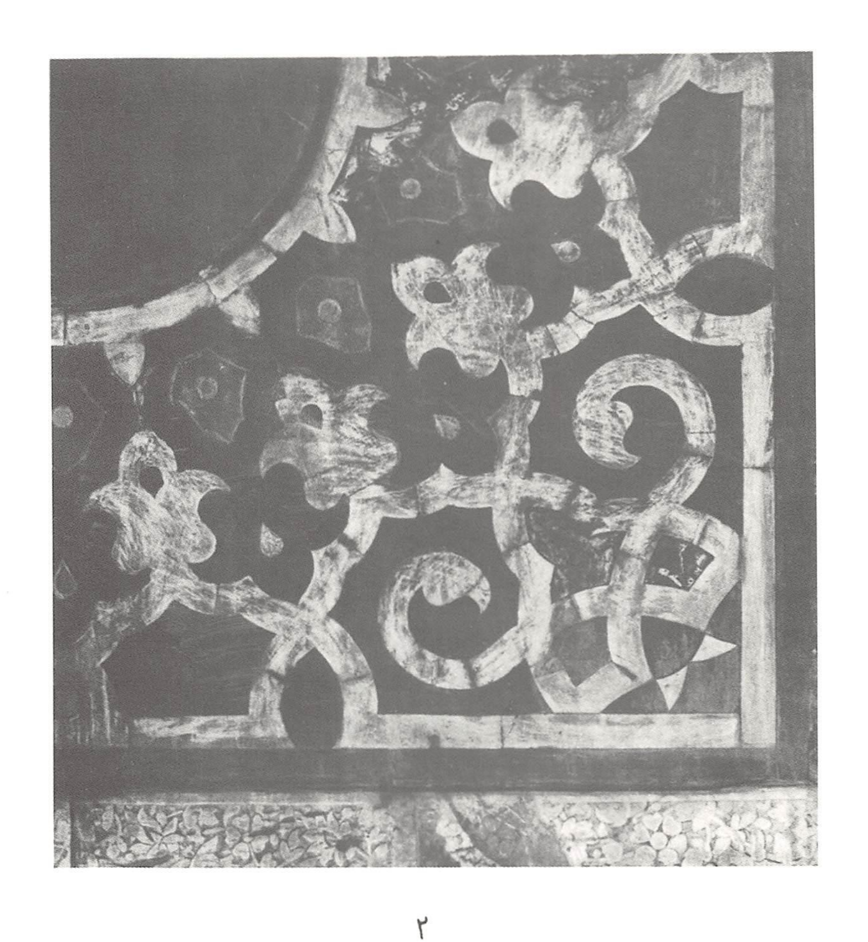
جامع السلطان حسن

لوحة ٢٠

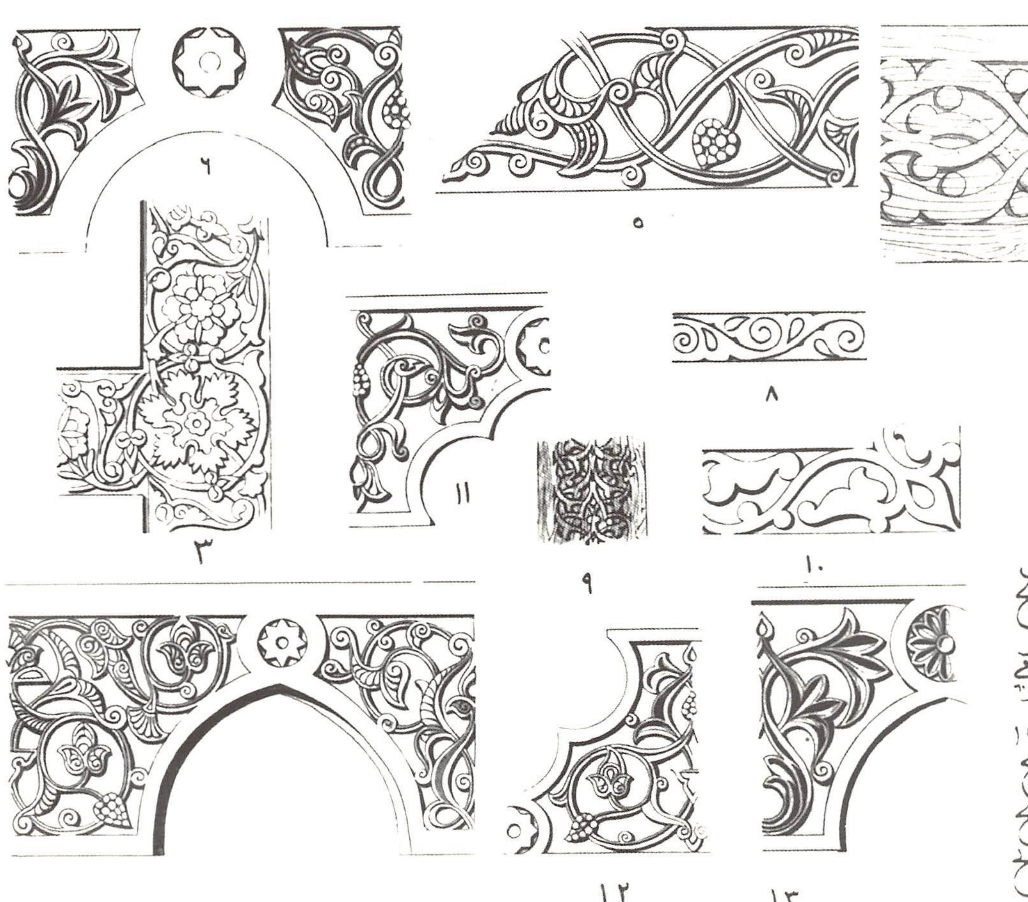
جامع السلطان حسن



١



٢



١ جزء من مصراع باب الدخول الى الصحن
٢ جزء من كسوة قاعة الضريح
٣ مفردات زخرفة الباب الكبير
٤ حاشية باب في الايوان العمومي
٥، ٦، ٧، ٨ مفردات من محراب الايوان العمومي
٩ حاشية باب في قاعة الضريح
١٠ حاشية من كسوة قاعة الضريح
١١، ١٢، ١٣ مفردات من محراب قاعة الضريح